



القيم الأخلاقية من منظور ما بعد الحداثيين

”ميشيل فوكو” أنموذجاً - دراسة تحليلية نقدية

إعداد

أ. د/ أحمد الهادي زكريا شحاتة

أستاذ العقيدة والفلسفة المساعد في كلية أصول الدين والدعوة بالمنصورة -
جامعة الأزهر



القيم الأخلاقية من منظور ما بعد الحداثيين

"ميشيل فوكو - أنموذجاً" - دراسة تحليلية نقدية

أحمد الهادي زكريا شحاتة.

قسم العقيدة والفلسفة، كلية أصول الدين والدعوة بالمنصورة، جامعة الأزهر، مصر.

البريد الإلكتروني: ahmedzakaria662012@gmail.com

ملخص البحث:

تهدف هذه الدراسة إلى بيان القيم الأخلاقية من منظور ما بعد الحداثيين، حيث تعد القيم الأخلاقية من الموضوعات الهامة في فلسفة "ميشيل فوكو"، فقد اهتم بالبحث فيها في أعماله المتعلقة بتاريخ الأخلاق الجنسية القديمة، وحاول الإجابة على مولد الأخلاق بوصفها نظراً وتفكيراً في الجنسية والرغبة والمتعة واللذة، وأن مدار موضوع تاريخ الجنسية هو تشكل المواقف الأخلاقية وصلتها بالبنيات السياسية، خصوصاً ما بين التحكم في الذات والتحكم في الآخرين، والنماذج المعرفية، وتحديدًا معرفة النفس ومعرفة مختلف النشاط الإنساني؛ ولا يمكن فهم الجنس بوصفه تعبيراً عن حضور الذات خارج السلطة، وكان لطبيعة الدراسة أن يتناول الباحث فيها، المنهج التحليلي: حيث يحلل آراء وأفكار "ميشيل فوكو"، كما يتناول الباحث، المنهج النقدي: حيث يقوم بنقد آراء "ميشيل فوكو" الأخلاقية، كذلك المنهج المقارن: حيث يقارن هذه الآراء مع غيرها من الآراء المتشابهة للفلاسفة، ومن أهم نتائج البحث: أن المتأمل لفلسفة "ميشيل فوكو"، الأخلاقية سيجدها فلسفة عدمية وفوضوية، تقوم على تغييب المعنى، وتقويض العقل والمنطق والنظام والانسجام. ولا تقدم بدائل عملية واقعية، بل هي فلسفة عبثية لا معقولة، تنشر اليأس والشكوى والفوضى في المجتمع، ومن أهم التوصيات في البحث فهي ضرورة الاهتمام بعرض الأفكار المستحدثة التي تظهر في أوروبا، ومحاولة تناولها تناولاً نقدياً، وبخاصة آراء أصحاب هذه التيارات، التي تتناول قضايا الدين تناولاً سلبياً يمكن أن يؤثر على الشباب.

الكلمات المفتاحية: القيم؛ الأخلاق؛ الحداثة؛ ما بعد الحداثة؛ ميشيل فوكو.



Moral Values from the Perspective of Postmodern Thinkers: Michel Foucault as a Case Study – An Analytical and Critical Study

Ahmed Elhady zakaria shehata.

Department of Creed and Philosophy, the Faculty of Fundamentals of Religion and Da'wah in Mansoura :Al-Azhar University, Mansoura, Egypt.

Email: ahmedzakaria662012@gmail.com

Abstract:

This study examines moral values from the perspective of postmodern thought, focusing on the philosophical contributions of Michel Foucault. Moral inquiry occupies a central place in Foucault's work, particularly in his historical analyses of ancient sexual ethics. He investigates the emergence of morality as a mode of reflection on sexuality, desire, pleasure, and gratification. Central to his project is the examination of how ethical attitudes are historically constructed and their relation to political structures—particularly the interplay between self-discipline, the regulation of others, and the epistemic frameworks through which the self and human activity are constituted. For Foucault, sexuality cannot be understood as an expression of a sovereign self external to power.

The study employs an analytical method to explore Foucault's ethical discourse, a critical method to assess its philosophical coherence and implications, and a comparative method to consider Foucault's views alongside related positions in modern philosophy.

The study concludes that Foucault's ethical vision may be described as nihilistic and anarchic, premised on the erasure of meaning and the deconstruction of reason, logic, order, and coherence. It offers no constructive or practical alternatives but rather advances a form of irrationalism that fosters despair, skepticism, and disorder within society.

The study recommends the necessity of engaging critically with contemporary intellectual currents in European thought, particularly those



that approach religious discourse from a reductive or oppositional stance. Such critical engagement is essential in view of the potential influence these ideas may have on younger generations.

Keywords: Values; Ethics; Modernity; Postmodernism; Michel Foucault.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أفضل الخلق وإمام أهل الحق، المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد ﷺ وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين، وصحبه ومن سار على نهجه إلى يوم الدين.

وبعد:

إن من ينظر إلى القيم الأخلاقية فإنه سيجدها كانت ولا تزال محل اهتمام العلماء والمفكرين على مدار التاريخ، وقد اختلفت وجهة نظرهم في تحديد طبيعة القيم، ومن أهم العلماء الذين حاولوا أن يبنوا طبيعة القيم على حسب ما ظهر لهم في بيئتهم، ففسروا القيم بطريقتهم التي تختلف عن أصحاب الديانات المختلفة، فجاءوا بمنهج يحتاج إلى كثير من العرض والنقد لأفكارهم المتعلقة بالقيم، والتي تعرضت لها تعرضاً سلبياً، ومن هؤلاء من أتباع ما بعد الحداثة في أوروبا، وعلى رأس هؤلاء الفلاسفة "ميشيل فوكو"،

حيث يحتل المفكر والفيلسوف الفرنسي المعاصر "ميشيل فوكو- Michel Foucault"، المولود "بواتيه" بفرنسا في ١٥ من أكتوبر عام ١٩٢٦م، ١٣٤٤هـ، والمتوفي عام ١٩٨٤م، مكانة مهمة ورفيعة بين فلاسفة العالم الأوربي لكونه واحداً من أهم فلاسفة النصف الأخير من القرن العشرين بفرنسا، تأثر بالبنويين، وابتكر مصطلحاً جديداً "أركيولوجيا المعرفة" ^(١)، ورفض فكرة مركزية الذات والإنسان- أي أن الإنسان هو المحور الأساسي الذي يدور حوله وجود الكون- التي بنيت عليه الوجودية.

والقيم الأخلاقية في فلسفة "موت الإنسان"، تقتضي سؤالاً مغايراً وأفقاً مختلفاً عما تواطأ عليه العقل الفلسفي، والذي اتجه إلى البحث في طبيعة المعايير الضابطة للسلوك البشري، تنظيراً وتأسيساً.

غير أن "ميشيل فوكو"، اتجه اتجاهاً آخر في دراسة السلوك، جاعلاً من القيم الأخلاقية سلوكيات وتصرفات يومية للأفراد، حيث يرى أن الفكر الحديث

(١) التعريف بها سيأتي تفصيلاً في موطنه من هذا البحث، ص ٦٧٥.

عاجز كل العجز عن اقتراح قيم أخلاقية معينة، سواء كان في ظل عصر الحداثة، أو ما بعد الحداثة، وبهذا فإن "ميشيل فوكو"، يذهب إلى القول بفناء كل القيم الأخلاقية، وانهارها، أمام سيادة "اللامعيارية" أي المعايير التي تنظم وتوجه السلوك و"العدمية"^(١)، أي ليس هناك أي وجود للضوابط الأخلاقية التي نحتكم إليها في سلوكنا، وانعدام المعايير الأخلاقية حيث انقضاء المعاني والمرجعيات الثابتة، وكذا موت المعنى، وبروز الفردية.

لقد اهتم "ميشيل فوكو"، بالقيم الأخلاقية في فلسفته بالبحث فيها في أعماله المتعلقة بتاريخ الأخلاق الجنسية القديمة، وحاول الإجابة على مولد الأخلاق بوصفها نظراً وتفكيراً في الجنسية والرغبة والمتعة واللذة، وأن مدار موضوع تاريخ الجنسية هو تشكل المواقف الأخلاقية وصلتها بالبنات السياسية، خصوصاً ما بين التحكم في الذات والتحكم في الآخرين، والنماذج المعرفية، وتحديد معرفة النفس ومعرفة مختلف النشاط الإنساني.

ولا يمكن فهم الجنس بوصفه تعبيراً عن حضور الذات خارج السلطة، بما هي مجموعة من علاقات القوة، وذلك في مقابل بنية سياسية كالدولة أو الحكومة أو طبقة اجتماعية مهيمنة أو السيد مقابل العبد، فعلاقات السلطة تخترق العلاقات الإنسانية مهما كانت، سواء تعلق الأمر بالمحاذة، أو بممارسة الجنس، أو بالمؤسسات، فإن السلطة حاضرة دائماً في نسج العلاقات الإنسانية، وهي محاولة دائمة لقيادة الآخرين، وإذا كانت علاقات السلطة تتميز بطابعها المتحرك والمتغير، بما أنها تنشر على الجسد الاجتماعي كله، فإن أهم ما يميزها على الإطلاق، في نظر "ميشيل فوكو"، هو الحرية، فلا وجود لعلاقات السلطة في غياب الحرية، إن الحرية شرط لممارسة السلطة، وأن ممارسة السلطة تقتضي حداً أدنى من الحرية عند الطرفين، وإلا انتفت عملية السلطة.

وتكمن أهمية البحث وأسباب اختياره فيما يأتي:

إنهاء الضوء على واحد من أهم فلاسفة ما بعد الحداثيين في النصف الأخير من القرن العشرين بفرنسا، والذين أسهموا في هذا الجانب، ولما لهذا الفيلسوف

(١) التعريف بهما سيأتي تفصيلاً في موطنه من هذا البحث، ص ٦٥٩.



التحديات المعاصرة للدراسات الإسلامية والعربية ... رؤى وآفاق

من مكانة مهمة ورفيعة بين فلاسفة العالم الأوربي بكونه ابتكر مصطلحاً جديداً "الأركيولوجي الجينيالوجي"، ورفض فكرة مركزية الذات والإنسان، التي بنيت عليها الوجودية، فأردت أن ألقى الضوء على تلك الشخصية للوقوف على أفكارها وكيفية نقدها والرد عليها.

إشكالية البحث:

تظهر إشكالية البحث من خلال الإجابة عن الأسئلة الآتية:

السؤال الأول: ما المقصود بالحادثة وبما بعد الحادثة في مفهوم الفلاسفة؟ وما علاقة ما بعد الحادثة بالحادثة التي ظهرت قبلها؟

السؤال الثاني: ما ملامح المنهج الفلسفي عند "ميشيل فوكو"؟ وما دور القيمة الأخلاقية في هذا المنهج؟ وما علاقتها بالحادثة وما بعد الحادثة؟

السؤال الثالث: ما المنهج الأركيولوجي؟ وكيف استخدمه ووظفه "ميشيل فوكو"؟ وما مستندات هذا المنهج؟ وما خصوصيات المنهج الأركيولوجي الجينيالوجي لدى "ميشيل فوكو"؟ وما طبيعة العلاقة الموجودة بين الأركيولوجيا والجينيالوجيا حسب وجهة نظر "فوكو"؟

السؤال الرابع: ما موقف "ميشيل فوكو"، من الذات التي من دونها لا تؤسس الأخلاق؟

السؤال الخامس: إذا كانت الأخلاق القديمة قائمة على حكمة الاهتمام بالنفس، فما معنى الحرية في هذه الأخلاق؟ وما حدود هذه الحرية، خصوصاً إذا علمنا أن اليونان القديمة كانت تعيش ضمن نظام ثقافي واجتماعي قائم على انقسام المجتمع إلى طبقتين طبقة الأحرار، وطبقة العبيد؟

السؤال السادس: ما الفائدة من تلك الأخلاق اليونانية الحرة بالنسبة إلى عصرنا خصوصاً إذا علمنا أن "ميشيل فوكو"، أكد في أكثر من سياق ونص، أن ما يعنيه ويهمه هو كتابة تاريخ الحاضر، وأن وظيفة الفلسفة هي تشخيص الحاضر؟

السؤال السابع: ما علاقة الأخلاق بالجنس، أو بفن الوجود. وما علاقة القيم



الأخلاقية عند "ميشيل فوكو"، بما قبل الميلاد، وإلى القرنين الأول والثاني الميلاديين بحياة المجتمعات المعاصرة عموماً، والمجتمعات الغربية خصوصاً؟. إلى غير ذلك من التساؤلات التي يجيب عليها البحث.

الدراسات السابقة:

توجد عدة دراسات تناولت موضوع "القيم الأخلاقية"؛ منها "الأخلاق عند فوكو"^(١). للباحث/فرج الله خولة؛ وتختلف دراستي عن هذه الدراسة المشار إليها بأنني قمت بالحديث عن القيم الأخلاقية والذات في فلسفة "ميشيل فوكو". وبالتفرقة بين القواعد الأخلاقية والأفعال الأخلاقية عنده، ثم الحديث عن قيمة الحرية وجدلية السلطة في فلسفته الأخلاقية، وكذلك تناولت الحديث عن التحكم في الذات وعلاقتها بالأفعال الجنسية في فلسفة "ميشيل فوكو"، مع تعقيب على فلسفة الأخلاق عنده، ثم الحديث عن موقف الأديان من القيم الأخلاقية عنده؛ أما الدراسة المذكورة فقد تناولتها بطريقة مخالفة لطريقتي منهجاً وأسلوباً.

وكذلك من الدراسات السابقة ؛ بحث تحت عنوان: "دور ومكانة المنهج الأركيولوجي الجينيالوجي في فلسفة ميشيل فوكو النقدية"^(٢). للباحث/عمروش حكيم؛ حيث تناول البحث المذكور التعريف بدور ومكانة المنهج الأركيولوجي الجينيالوجي في فلسفة "ميشيل فوكو"، ولم يتناول القيم الأخلاقية عنده.

منهج البحث:

وأما المنهج الذي سلكته في هذا البحث فيتمثل في:

المنهج التحليلي: حيث أقوم من خلاله بتحليل فلسفة "ميشيل فوكو" الأخلاقية، تحليلاً علمياً دقيقاً.

المنهج النقدي: حيث يتطلب البحث النقد الفلسفي لأفكار "ميشيل فوكو".

(١) مذكرة تخرج منشورة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر في الفلسفة، إشراف د. بوراس يوسف، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم الفلسفة، جامعة محمد بوضياف المسيلة، الجزائر، ٢٠٢٣م، ٢٠٢٤م.

(٢) نشر مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية، الجزائر، مجلد ١٢، العدد ٢، ٢٠٢٤م.



المنهج المقارن: وذلك بمقارنة آراء "ميشيل فوكو" مع غيرها من الآراء المتشابهة للفلاسفة.

خطة البحث:

جاء البحث مشتملاً على مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة.

● **فأما المقدمة:** فتشتمل على التعريف بالبحث وأهميته وأسباب اختياره، وإشكالية الدراسة، والدراسات السابقة، والمنهج المتبع في البحث، والخطة التي اشتمل عليها.

● **أما المبحث الأول فعنوانه:** (مقدمات تمهيدية) ويشتمل على ما يلي:

أولاً: القيم الأخلاقية في المدلول اللغوي والاصطلاحي.

ثانياً: التعريف بالحدثة وما بعد الحداثة في المدلول اللغوي والاصطلاحي.

ثالثاً: التعريف "بميشيل فوكو - Michel Foucault".

١- مولده ونشأته.

٢- تصنيف فلسفة ومنهجية "ميشيل فوكو" بين المفاهيم الأخرى.

٣- مؤلفاته.

● **أما المبحث الثاني فعنوانه:** (القيم الأخلاقية في فلسفة "ميشيل فوكو") ويشتمل على ما يلي.

أولاً: القيم الأخلاقية والذات في فلسفة "ميشيل فوكو".

ثانياً: التفرقة بين القواعد الأخلاقية والأفعال الأخلاقية عند "ميشيل فوكو".

ثالثاً: قيمة الحرية وجدلية السلطة في فلسفة "ميشيل فوكو" الأخلاقية.

رابعاً: التحكم في الذات وعلاقته بالأفعال الجنسية في فلسفة "ميشيل فوكو" من منظور تاريخي.

تعقيب.

● **أما المبحث الثالث فعنوانه:** (فلسفة "ميشيل فوكو" الأخلاقية في ميزان الأديان) ويشتمل على ما يلي.



أولاً: موقف المسيحية من القيم الأخلاقية عند "ميشيل فوكو".

ثانياً: موقف الإسلام من القيم الأخلاقية عند "ميشيل فوكو".

● **وأخيراً: الخاتمة:** وتشتمل على أهم نتائج البحث، والتوصيات، ثم فهرس المصادر والمراجع.

وبعد؛ فإن كان من فضل وتوفيق فمن الله وحده، وإن كان من خطأ، أو سهو، أو نسيان، فذلك من نفسي والشيطان، والله ورسوله منه براء، والحمد لله أولاً وأخيراً، وصل اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

أ. د/ أحمد الهادي زكريا شحاتة

أستاذ العقيدة والفلسفة المساعد

كلية أصول الدين والدعوة بالمنصورة

جامعة الأزهر



المبحث الأول

مقدمات تمهيدية

أولاً: القيم الأخلاقية في المدلول اللغوي والاصطلاحي.

١- القيم الأخلاقية في المدلول اللغوي.

القيمة: مفرد قيم، وهى لغة: "من قَوْمٍ، والقيمة تستخدم لمعرفة قيمة الشيء، فقيمة الشيء قدره وقيمة المتاع ثمنه "قَوْمُ السِّلْعَةِ تَقْوِيْمًا"، والقوام بالفتح العدل"^(١). قال تعالى: ﴿وَكَانَ بَيْنَهُ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ (الفرقان: ٦٧). يقال: كتب قيمة مستقيمة تبين الحق من الباطل، والقيم: السيد وسائس الأمر، والقوام: المتكفل بالأمر"^(٢).

تبين من خلال التعريف السابق أن القيم تطلق على قيمة الشيء وثمرته، كما تطلق على الاستقامة والاعتدال، وعلى نظام الأمر وعماده، كذلك على الثبات والدوام والاستمرار.

٢- القيم الأخلاقية في المدلول الاصطلاحي.

تعددت التعريفات حول هذا المصطلح، نظرًا لأن كل باحث يتناوله من زاوية بحثه فجاء هذا المصطلح متعدد المعاني، وإن ظل في كل المجالات وثيق الصلة بالإنسان، ومن هذه التعريفات: "القيم: هي الثوابت المرجعية والمعايير التي تحكم سلوك الناس ويمكن الرجوع إليها عند وضع القوانين والتشريعات المختلفة"^(٣).

ويطلق لفظ القيمة في علم الأخلاق: "على ما يدل عليه لفظ الخير، بحيث تكون قيمة الفعل تابعة لما يتضمنه من خيرية، فكلما كانت المطابقة بين الفعل والصورة الغائية للخير أكمل، كانت قيمة الفعل أكبر، وتسمى الصور الغائية المرتسمة

(١) محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي : مختار الصحاح، نشر المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط٥، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م، ج١، ص٣٦٢.

(٢) محمد بن محمد بن عبد الرازق الحسيني المرتضى الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق، مجموعة من المحققين، نشر دار الهداية، الكويت، ١٩٦٥م، ج٣٣، ص٣١٩.

(٣) د. جابر عوض أحمد سيد: البيئة والتنمية والخدمة الاجتماعية، نشر دار المعرفة الجامعية، إسكندرية، مصر، ١٩٩٥م، ص٣٣٨.



على صفحات الذهن بالقيم المثالية، وهي الأصل الذي تبنى عليه أحكام القيم، أي الأحكام الإنشائية التي تأمر بالفعل أو بالترك^(١).

يتضح من هذا التعريف، أن كل ما هو خيرٌ فهو ذو قيمة، بحيث تكون قيمة الفعل معياره الذي يوجه ويحكم تصرفات واتجاهات الفرد نحو مواضيع، ومواقف، ومعتقدات، وتقويمات، وأحكام، وتبريرات، ومقارنة النفس بالغير، ومحاولة التأثير في الغير أيضاً، فكلما كانت المطابقة بين الفعل والصورة الغائية للخير أكمل، كانت قيمة الفعل أكبر.

فالقيم: "مجموعة الأخلاق التي تصنع نسيج الشخصية الإسلامية، وتجعلها متكاملة قادرة على التفاعل الحي مع المجتمع، وعلى التوافق مع أعضائه وعلى العمل من أجل النفس والأسرة والعقيدة"^(٢).

تبين من خلال تعريف القيم في المدلول الاصطلاحي، أن القيمة هي المعيار الذي يوجه ويحكم تصرفات واتجاهات الفرد بالنسبة لأفعاله وكذا أفعال الغير.

٣- الأخلاق في المدلول اللغوي.

الأخلاق جمع خلق، والخلق لغة: "السجية، والخلق بضم اللام وسكونها هو الدين والطبع والسجية والمروءة، وحقيقته أنه صورة الإنسان الباطنة وهي نفسه، وأوصافها ومعانيها المختصة بها بمنزلة الخلق لصورته الظاهرة وأوصافها ومعانيها"^(٣). وقيل: "الخلق، بالضم وبضمين السجية والطبع والمروءة والدين"^(٤).

وعليه فإن المعنى اللغوي لكلمة "خلق" يتضمن عدة أمور: أن الخلق هو الذي يدل على الصفات الطبيعية في خلق الإنسان الفطرية على هيئة مستقيمة متناسقة.

- (١) د. جميل صليبا: المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة، بيروت، لبنان، ١٩٨٢م، ج ٢، ص ٢١٣.
- (٢) د. جابر قميحة: مدخل إلى القيم الإسلامية، نشر دار الكتاب المصري، القاهرة، ط ١، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م، ص ٤١.
- (٣) أبي الفضل محمد بن مكرم ابن منظور: لسان العرب، نشر دار صادر، بيروت، ط ٣، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م، ج ١٠، ص ٨٦.
- (٤) الفيروز آبادي: القاموس المحيط، تحقيق، مكتب تحقيق التراث، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط ٨، د.ت، ص ٨١.



وأن الأخلاق تدل على الصفات التي اكتسبت وصارت كأنها خلقت مع طبيعته. وأن للأخلاق جانبان، جانب نفسي باطني، وجانب سلوكي ظاهر.

إذن فكلمة خلق في اللغة العربية تدل على عدة معان أهمها: السجية، والطبع، والمروءة في الدين، والخلقة بمعنى الفطرة، والخلق بمعنى التقدير.

٤- الأخلاق في المدلول الاصطلاحي.

يعرف الخلق بأنه: "عبارة عن هيئة في النفس راسخة عنها تصدر الأفعال بسهولة ويُسر من غير حاجة إلى فكر وروية، فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة المحمودة عقلاً وشرعاً سميت تلك الهيئة خُلُقاً حسنً، وإن كان الصادر عنها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التي هي المصدر خلقاً سيئاً"^(١). وقيل: "هو حال النفس، بها يفعل الإنسان أفعاله بلا روية ولا اختيار، والخلق قد يكون في بعض الناس غريزة وطبعاً، وفي بعضهم لا يكون إلا بالرياضة والاجتهاد، كالسقاء قد يوجد في كثير من الناس من غير رياضة ولا تعمد، كالشجاعة والحلم والعفة والعدل وغير ذلك من الأخلاق المحمودة"^(٢).

والقيم الأخلاقية عبارة عن مجموعة المبادئ والمعايير الموجهة للأخلاق، لتصبح صفة راسخة يمارسها الأفراد دون تكلف أو عناء، فيألفونها، ويعتادون عليها في تعاملهم سواء أكان هذا التعامل مع الله أم مع النفس أم مع الآخرين.

وتعرف القيم الأخلاقية في المسيحية بأنها: "القوانين والمبادئ التي تربط الإنسان بمصدر حياته، أي بالله ليجد علاقته الصحيحة بالآخرين وبمحيطه"^(٣).

والقيم الأخلاقية الإسلامية، هي: "المبادئ المتعلقة بتكوين السلوك الخلقي الفاضل المستمد من الإسلام، ليصبح سجية وطبعاً يتخلق به، ويتعامل به مع الآخرين،

(١) أبو حامد محمد الغزالي: إحياء علوم الدين، نشر دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م، ص٩٣٤.

(٢) عمرو بن بحر الجاحظ: تهذيب الأخلاق، تعليق، إبراهيم محمد، نشر دار الصحابة للتراث، طنطا، مصر، ١٩٨٩م، ص١٢.

(٣) جورج منزريدي: الأخلاق المسيحية، نقله إلى العربية، الأب ميشيل نجم، نشر مكتبة الكتب المسيحية، دت، ص ٢٧.



لتكوين مجتمع إسلامي فاضل تسوده المحبة" ^(١). والدين الإسلامي يدعو أفرادَه إلى التحلي بالأخلاق الحسنة: "فالدِّينُ كُلُّهُ خُلُقٌ، فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في الدين" ^(٢).

ومن ما سبق يتضح أن القيم الأخلاقية هي المكون الأساسي للسلوك الخلقي لدى الأفراد في جميع تعاملاتهم لنشر قيم العدل والحرية والخير والجمال.

٥- القيم الأخلاقية عند ميشيل فوكو.

إذا كانت القيم الأخلاقية هي المعايير الضابطة للسلوك البشري، وهي مجموعة من الأوامر والنواهي التي توجه سلوك الأفراد إلى ما ينبغي أن يكون عليه هذا السلوك.

فإن "ميشيل فوكو Michel Foucault"، اتجه اتجاهًا آخر في دراسة السلوك، جاعلاً من القيم الأخلاقية سلوكيات وتصرفات يومية للأفراد، حيث يرى: "أن الفكر الحديث عاجز على اقتراح قيم أخلاقية معينة، سواء كان في ظل عصر الحداثة، أو ما بعد الحداثة" ^(٣). وعلى هذا فإن "ميشيل فوكو"، يبشر بفناء كل القيم الأخلاقية، وانهارها، أمام سيادة "اللامعيارية" أي المعايير التي تنظم وتوجه السلوك و"العدمية" ^(٤)، حيث انقضاء المعاني والمرجعيات الثابتة وكذا موت المعنى

(١) د. مانع بن محمد بن علي المانع: القيم الأخلاقية بين الإسلام والغرب، دار الفضيلة، الرياض السعودية، ط١، ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م، ص٢٤.

(٢) مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق، محمد علي النجار، دار إحياء التراث العربي، القاهرة مصر، ط٣، ١٤١٦هـ -، ١٩٩٦م، ج٢، ص٥٦٨.

(٣) ميشيل فوكو: أقوال وكتابات، ترجمة، د. الزواوي بغوره، نشر غاليمار، باريس، ١٩٩٤م، ج٢، ص٧٥.

(٤) العدمية: هي النفي والسلب، فهي الحركة الفلسفية التي تقوم بنفي شيء ما، مثل موجود ما أوحقيقة ما أوقيمة ما، فهي الاعتقاد بأن كل القيم لا أساس لها من الصحة (ينظر: Christin Daigle, 2002, Le nihilism est il un humanism? Etude sur Nietzsche et Sartre, these De Doctorat en philosophie, universitem de Montreal p.60.)

Christin Daigle, 2002,



وبروز الفردية، إذ حل التشريع الفردي محل القيم ومحل مختلف المرجعيات. ويقرر "ميشيل فوكو": "أن القيمة أو المعيار يلعب دوراً هاماً في تعزيز السلطة المعاصرة، ومن خلال السلطات المصغرة، ابتداءً من "القرن ١٩"، حيث ظهر المعيار كقاعدة قيمية في شكل بارز من أشكال مراقبة الفرد وتدجينه عبر تقنيات مصغرة "للبيداغوجيا"^(١)، فالأمر يتعلق بترويض الجسد على سلوك معياري من خلال منظومة متوازنة طرفاها العقاب والمكافأة، وهو ما يفصلها عن مفهوم القانون"^(٢). وهذا الأمر حمل "ميشيل فوكو"، على عقد مقارنة بين القانون والمعيارية، مستشفاً حيثيات التعارض بين هذين المفهومين من خلال قراءة للتاريخ: "فالشكل المهيمن للسلطة في العصر الكلاسيكي محكوم بالقانون؛ بينما تتحرك المجتمعات المعاصرة وفقاً للمعيار والقيمة؛ فالقانون العقابي محكوم بتعارض ثنائي بين المباح والممنوع؛ حيث يتم إحالة كل فعلة إلى أحد هذين الطرفين وفقاً لنصوص معينة؛ والقانون يحكم على الأفراد من الخارج وفي حالة الخرق فقط؛ بينما يترك مجال الحريات فسيحاً دون أي تدخل منه، على عكس الجهاز الانضباطي الذي ينشر بين أفراد مفهوماً عقابياً قائماً على المعيارية، والتي لا يمكن اختزالها بأي حال من الأحوال في نظام القانون، فالمعيارية تحاول أن تتسرب إلى باطن وعمق السلوكيات الإنسانية لتفرض عليها مساراً نمطياً معيناً، فهي لا تكتفي بالتدخل في الشأن الفردي حال حدوث الفعل؛ وإنما تسعى إلى الاستحواذ على الوجود الإنساني في كل أبعاده"^(٣).

هذه نظرة مختصرة عن القيم الأخلاقية في فلسفة "ميشيل فوكو"، والتي سنتحدث عنها بالتفصيل بإذن الله تعالى في ثنايا البحث.

(١) البيداغوجيا: علم وفن التعليم والتربية، وتهتم بدراسة الطرق والأساليب التي تساعد في نقل المعرفة والمهارات على المتعلمين بطريقة فعالة (أحمد أوزي : المعجم الموسوعي لعلوم التربية، نشر دار النجاح الجديدة، الدار البيضاء ، المغرب، ط١، ٢٠٠٦م، ص ١٥٠).

(٢) ميشيل فوكو: أقوال وكتابات، ج ٢، ص ٧٥.

(٣) المصدر نفسه، ج ٤، ص ٢٧٥-٢٧٥.

ثانياً: الحداثة بين المدلول اللغوي والاصطلاحي.

١- الحداثة في المفهوم اللغوي.

الحَدَاثَة: "مصدر حَدَّثَ، يقال حدث الشيء يحدثُ حدوثاً، والمصدر حَدَاثَة، وأحدثه هو، فهو محدثٌ وحديث، وكذلك استحدثه، ولا يقال حَدَّثَ بالضم إلا مع قَدَم؛ والحديث نقيض القديم، والحُدُوث نقيض القُدَمَة"^(١).

والحدث: الأمر الحادث المنكر الذي ليس بمعتاد، ولا معروف في السنة، وقد وردت أحاديث كثيرة تحذر من الإحداث في الدين، أي الابتداع فيه، وإحداث أمر لم يشرعه الله ﷻ، ورسوله ﷺ، ومن أصرح تلك الأحاديث وأجمعها قوله ﷺ: "مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ"^(٢).

من هنا فالحداثة تطلق على ما هو نقيض القديم، فهي مترادف الجدة

(١) محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، مرتضى الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، نشر دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ، ج٣، ص١٨٩-١٩٠.

(٢) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه، حديث رقم ٢٦٩٧. ومسلم في صحيحه حديث رقم ١٧١٨ (ينظر: البخاري: المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، نشر مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ١٣٧٤هـ، ١٩٥٥م، كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة، ورد محدثات الأمور). وهذا الحديث يفيد أن من اخترع في ديننا ما لا يشهد له أصل من أصول الإسلام فهو مردود عليه، أما الإحداث والإبداع في الأمور الدنيوية والمعاشية، وإنشاء وسائل وأساليب وصناعات حديثة فالأصل فيها الحل والإباحة، والوسائل لها حكم مقاصدها، ومعنى الإحداث في الدين قريب من مقاصد الحداثة والحداثيين، وإن كانت الحداثة أعم من الابتداع في الدين، لأنها أفكار عارضت الدين في كثير من عقائده وأحكامه فهي إلحاد وكفر بالدين، لذا فبينهما أوجه شبه فقط، إذن من ابتدع في ديننا ما ليس منه فهو باطل ولا يعتد به؛ لأن رسول الله ﷺ ما لحق بالرفيق الأعلى إلا وكانت أمور الشريعة إما منصوصاً عليها، وإما داخلة تحت نص وأصل أرساه الشرع الحنيف، نعم قد جددت في الحياة أمور لم تكن وستجد أمور كثيرة غير كائنة اليوم، لكن واجب العلماء والمجتهدين إدخالها تحت أصل ونص شرعي، فإن عجزوا قدموا درء المفسد على جلب المصالح، والحذر من المشتبهات خير من الوقوع فيها. (ينظر: د. موسى شاهين لاشين فتح المنعم شرح صحيح مسلم، دار الشروق، ط١، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م، ج٧، ص٣٩).



والتجديد، وتطلق على أول الأمر وابتدائه، وحداثة السن: كناية عن الشباب وأول العمر.

٢- الحداثة في الاصطلاح .

ينتاب المفهوم الاصطلاحي للحداثة كثير من التناقض والغموض، والحيرة والشك، فهي حركة عبثية يكثر أصحابها من استعمال الغموض؛ للوصول إلى أهدافهم ببسر وسهولة، داعين إلى الثورة على كل ما هو سائد ومعروف، سواء أكان من أمور العقيدة أم من غيرها من شؤون الحياة، فلا ثوابت ولا أصول، بل كل ما في الكون والحياة والإنسان والقيم الأخلاقية، متغير ومتقلب من عصر إلى عصر؛ وذلك لأن من سماتها التغير وعدم الانضباط، وعدم الوضوح، وعدم الاستقرار على حال: "فهو الشيء الذي لا يُعرَف" ^(١). أو هي: "مشروع لم يكتمل" ^(٢).

والحداثة كما يعرفها "رولان بارت" ^(٣): "انفجار معرفي لم يتوصل الإنسان المعاصر إلى السيطرة عليه ... ففي الحداثة تنفجر الطاقات الكامنة، وتحرر شهوات الإبداع في الثورة المعرفية، مولدة في سرعة مذهلة وكثافة مدهشة، أفكاراً جديدة، وأشكالاً غير مألوفة، وتكوينات غريبة، وأقنعة عجيبة، فيقف بعض الناس منبهراً بها، ويقف بعضهم الآخر خائفاً منها، هذا الطوفان المعرفي يولد خصوبة لا

(١) عبد الغني بارة: إشكاليات تأصيل الحداثة في الخطاب النقدي العربي المعاصر- مقاربات

حوارية في الأصول المعرفية، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ص ١٥، ١٦.

(٢) طه عبدالرحمن: روح الحداثة، المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية، نشر المركز الثقافي

العربي - الدار البيضاء - المغرب، ط١، ص ٢٣.

(٣) رولان بارت: هو فيلسوف فرنسي، ويُعد من أهم اعلام النقد الأدبي في عصره، وُلد في ١٢

نوفمبر ١٩١٥م، وتُوفي في ٢٥ مارس ١٩٨٠م، وله الكثير من المؤلفات التي كان لها أثر في

تطور مدارس عدة كالبنوية والماركسية وما بعد البنوية والوجودية، بالإضافة إلى تأثيره في

تطور علم الدلالة، تتوزع أعمال رولان بارت بين البنوية وما بعد البنوية، فلقد انصرف عن

الأولى إلى الثانية أسوة بالعديد من فلاسفة عصره ومدرسته، كما أنه يعتبر من الأعلام الكبار

- إلى جانب كل من ميشيل فوكو وجاك دريدا وغيرهم - في التيار المسمى ما بعد الحداثة

(ينظر: رولان بارت: كتاب لذة النص، ترجمة منذر عياشي، نشر دار لوسوي، باريس ط١،

١٩٩٢م، ص ٢).



مثيل لها ولكنه يغرق أيضاً" ^(١).

فالحداثة ليست شكلاً فنياً أو أدبياً: "إنها تؤدي بالفن كله إلى ظلمات الفوضى واليأس، وهذا يعني أن الحداثة لا تأخذ بيد الفن إلى مواطن الإبداع، وإنما إلى التهلكة، وباختصار لا توحى النزعة التجريبية بالتكلف والغموض والتجديد في الفن فحسب، بل توحى أيضاً بالضبابية والغربة والتفكك" ^(٢).

والحداثة: "تفيد تاريخياً ظهور حضارة جديدة بدأت مع نهاية القرن الثامن عشر، وتميزت بحدثين أساسيين هما: الثورة الصناعية، والثورة الديمقراطية" ^(٣).

ومن خلال التعريفات السابقة يمكن القول أن الحداثة عند أصحابها اتسمت بعدة سمات عامة أهمها: الشمولية؛ فهي مفهوم حضاري شمولي يُطال كافة مستويات الوجود الانساني. ومن سماتها تقابل التقليد: فهي تنتقل من القديم إلى الحديث وتشتمل على نمط من التحول عن نمط معرفي إلى آخر. ومن سماتها ارتباطها بأوروبا في نشأتها وتطورها. ومن سماتها قدرتها على النقد الذاتي؛ فهي قادرة على تصحيح نفسها و على النضج ومواجهة المشكلات ^(٤).

من خلال ما سبق يتضح أن مفهوم الحداثة: يتطور بتطوير الزمن، فما كان حديثاً في السنة الماضية لا يكون حديثاً في هذه السنة، فالحداثيون يرون أن العمل الحداثي لا بد وأن يتصف بسرعة التغيير والتبديل في عقائد الناس ومفاهيمهم من أجل مواكبة حركة الزمن التي تسير بسرعة متناهية، فالمبادئ والعقائد والقيم الأخلاقية في تطور مستمر ، ولكل زمن وعصر حدثته، فالحداثة في كل عصر هي

(١) رولان بارت: كتاب لذة النص، ص٢. (وينظر: محمد مصطفى هدار: الحداثة والتراث ، نشرمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، السعودية، محاضرة ألقاها عام ١٤٠٦هـ، ومطبوعة، برقم ٣٩٨٦١، ٣٩٨٦٢).

(٢) جيمس ماكفارلن ، ومالكم برادبري: الحداثة، ترجمة مؤيد حسن فوزي، نشر دار المأمون، بغداد، ١٩٨٧م، ص٣٦.

(3) Claude Geffre, La modernité, un défi pour le chrétien et l'islam, in Theologiques, vol, 9, n, 2, p, 138.

(٤) د. سعيد عبداللطيف فودة: مقالات نقدية في الحداثة والعلمانية، نشر دار الذخائر، بيروت، ط٢، ٢٠١٥م، ص١٠-١١.



خلاصة ما توصل إليه البشر من أفكار وقوانين بواسطة عقولهم وأمزجتهم، ثم صاغوها بقوالب تتناسب مع أحوالهم ومتطلباتهم.

ويترقب على ما سبق: أن الحداثة بالنسبة لفلاسفة الغرب، ظاهرة فكرية متطورة جاءت ثائرة ضد حالات من التأزم العقدي والاجتماعي والتاريخي، فهي حركة تغييرية لكل ما هو ثابت وسائد، تسعى نحو الفوضوية ونحو ما هو مدمر في كل مناحي الحياة، فلقد قُدمت الحداثة في الغرب على أنها مشروعٌ فكري فلسفي، يهدف إلى التغيير الجذري والشامل لكل ما يمت لفكر القرون الوسطى، التغيير في البناء الاجتماعي، والسياسي، والديني، والاقتصادي، والثقافي، وغير ذلك من أنشطة الحياة المختلفة، فأساسها تجاوز جميع الثوابت والأصول دينية كانت أم غير دينية.

٣- ما بعد الحداثة في الاصطلاح .

إذا كان المفهوم الاصطلاحي للحداثة يَنبُتُ كثير من التناقض والغموض، والحيرة والشك، فإن مفهوم "ما بعد الحداثة - Post Modernisme"؛ يعاني من عدم الاستقرار الدلالي، وكثير من الإشكاليات، فهو مصطلح متضارب ومتناقض داخلياً: "مناهض لكل تحديد، وعصي على كل تعريف، ومتمرد على كل تصنيف وتأطير مسبق، يمكن أن يجمع عليه الباحثون والدارسون"^(١).

ونتيجة لانحياز الحداثة عند ما بعد الحداثيين فإنه: "ينبغي علينا أن نعترف بأن ما بعد الحداثة تمثل رد فعلنا، أو استجابتنا الفكرية لهذه النهاية؛ أي نهاية الحداثة، وهذا يقودنا بشكل طبيعي إلى فحص - ما بعد الحداثة - علاقتها الحرجة بالحداثة"^(٢).

إذن فمفهوم ما بعد الحداثة: "مصطلح نفي سلبي- يعني يميل إلى

(١) د. الزاوي بغوره: ما بعد الحداثة والتنوير موقف الأنطولوجيا التاريخية دراسة نقدية، نشر دار الطليعة، بيروت، ٢٠٠٩م، ص ١١.

(٢) أوليفر ليمان: مستقبل الفلسفة في القرن الواحد والعشرين، آفاق جديدة للفكر الإنساني، ترجمة، مصطفى محمود محمد، مراجعة، د. رمضان بسطاويسي، نشر سلسلة عالم المعرفة، رقم ٣٠١، ٢٠٠٤م، ص ١٤٣.

"العدمية" - وترجمة لمصطلح (post- modernism)، و- أحياناً- يطلق على مصطلحات كمصطلح (ما بعد البنيوية - post structuralism)؛ وذلك لأن فلسفات ما بعد الحداثة قد ظهرت بعد سقوط (الفلسفة البنيوية - Structuralism)،^(١). ويكاد يترادف مصطلح ما بعد الحداثة - كذلك- مع مصطلح (التفكيكية^(٢)). (Deconstruction) «،^(٣). والذي يعني «رفض الأساس-ANTI (FOUNDATIONALISM)، وإلغاء الثنائيات، ومحاولة تجاوزها، والبحث عن المقدس- الزمني-، والمطلق - النسبي-^(٤). والذاتي- الموضوعي-، والارتباط

(١) **مصطلح (البنيوية):** تيار فكري، يرجع إلى العالم اللغوي السويسري "فرديناند دو سوسير- ١٨٥٧-١٩١٣م"، حيث بدأ تفعيله في العلوم الإنسانية من ١٩٤٠-١٩٥٠م، وتحتوي الرؤية البنيوية على أن الإنسان لا يملك وسيلة للوصول إلى الحقيقة إلا عبر اللغة وبنيتها وليس العكس، فالبنوية «نظرية تعد اللغة مجموعاً مركباً، تتمتع فيه الألفاظ، بأهمية واحدة، وكل نظرية تضع الكائن البشري في المرتبة الثانية». وبدأ نجم البنيوية في الانطفاء بعد عام ١٩٧٥م. (ينظر: جان بياجيه: البنيوية، ترجمة، عارف منيمنة، بشير أو بري، منشورات عويدات، باريس، بيروت، ط٤، ١٩٨٥م، ص٨. وينظر: د. عبد العزيز حمودة: المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك، نشر عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩٨م، ص١٤٠).

(٢) **التفكيكية:** نزعة فلسفية قال بها الفيلسوف الفرنسي "جاك دريدا"، تستوحي أعمال الفيلسوفين الألمانين "نيتشه"، "هايدجر"، خصوصاً في تجاوز الميتافيزيقا من خلال العمل على هدمها، وقام "دريدا"، بتطوير مفهوم الهدم بأن جعل منه مفهوماً فلسفياً أطلق عليه اسم مصطلح التفكيك، حيث "يرى أن نشوء حضارة ثقافية جديدة يفترض نقد الموروث وتفكيكه"، فهو مصطلح يدل على الهدم والتقويض، وعمد "دريدا" إلى تطبيقه على مختلف آثار الثقافة الغربية من نصوص فلسفية، وأدبية، وكان ذلك لغرض الكشف داخل هذه الآثار عن حضور الميتافيزيقا وتفكيكها. وللتمييز بين المصطلحين، يمكن القول: «إن ما بعد الحداثة في الرؤية الفلسفية العامة، أما التفكيكية فهي بالمعنى العام أحد ملامح وأهداف هذه الفلسفة، تقوم بتفكيك الإنسان، كما أنها منهج لقراءة النصوص (ينظر: د. أحمد عبد الحليم: ما بعد الحداثة والتفكيك، نشر دار الثقافة العربية - القاهرة، ط١، ٢٠٠٨م، ص١٥٥. ويراجع: د. عبد العزيز حمودة: المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك، نشر رؤية، بيروت، ٢٠٢٠م، ص١٤٣).

(٣) ستورات سيم - بورين فان لوان: النظرية النقدية، ترجمة وتحقيق، جمال الجزيري، نشر المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٥، ص٩٨.

(٤) **المطلق :** هو التام الكامل المتحرر من كل قيد، واجب الوجود المتجاوز للزمان والمكان. أما **النسبي:** ما ينسب لغيره ويتوقف وجوده عليه ولا يتعين إلا مقروناً به. (يراجع: د. عبد الوهاب



التحديات المعاصرة للدراسات الإسلامية والعربية ... رؤى وآفاق

بالصيرورة، والتطهر تماماً من آثار الميتافيزيقا، وإلغاء فكرة الكل، وإلغاء مقولة الإنسان!"^(١). وهذا ما سيتضح في خلال عرض القيم الأخلاقية في فلسفة "ميشيل فوكو".

ومن ثمّ الخضوع التام لعالم: "تسود فيه فلسفة لاعقلانية مادية، فلسفة تدرك حتمية التفكير الكامل؛ إذ يتم التوصل إلى أن كل شيء نسبي مادي"^(٢)، وأن الواقع في حالة من السيولة، وأن الفلسفة الإنسانية وهم؛ إذ ليس ثمة ذات إنسانية ثابتة، وكذا الموضوع المادي ليس ثابت، وحتى إن وجدت الذات ووجد الموضوع، فلن يتفاعلا؛ إذ لا توجد لغة تواصل أو تفاعل!"^(٣)

وبناءً عليه: فما بعد الحداثة إذًا؛ تعبير متبلور عن "المادية الجديدة السائلة"، أو "الحداثة السائلة" (Modernity Liquid)^(٤) التي ينطلق من عدة أطروحات

المسيري: العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة، نشر دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٢م، ج ٢، ص ٤٥٤-٤٥٥.

(١) د. عبد الوهاب المسيري، د. فتحي التريكي: الحداثة وما بعد الحداثة، نشر دار الفكر، دمشق، سوريا، ٢٠٠٣م، ص ٢٦-٢٧.

(٢) د. عبد الوهاب المسيري: العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة، ج ١، ص ٢٨١.

(٣) المرجع نفسه: ج ١، ص ٢٨٢-٢٨١.

(٤) **المادية السائلة:** أول من أطلق مفهوم الحداثة السائلة، المفكر البولندي "زيغمونت باومان Zygmunt Bauman" ١٩٢٥-٢٠١٧م، ويعد أحد الذين أثروا مفهومي: الحداثة وما بعد الحداثة بتوظيفهما المثري بعمقه وشموليته؛ وجاء إثراء باومان للمفهومين بإضافة صفتين نأت بهما عن عمومية الدلالة وضبايتها نحو مزيد من الوضوح والدقة، ففي العديد من أعماله يقترح "باومان" إحلال مفهومي حداثة صلبة وحداثة سائلة بدلاً من مفهومي حداثة، وما بعد حداثة، وبما يتناسب مع خطاب فلسفة "باومان" في نقد تمظهرات عالم ما بعد الحداثة الاستهلاكي. والذي يراها إحدى أكثر المراحل إثارة للقلق، وفي محاولته تحليل هذه المرحلة، اعتمد "باومان" على العديد من الكتابات السابقة بما فيها "الأنثروبولوجيا البنائية الفرنسية"، و"مدرسة فرانكفورت للنظرية النقدية من أدورنو حتى هابرماس" (ينظر: زيغمونت باومان: الأخلاق في عصر الحداثة السائلة، ترجمة، سعد البازغي، بثينة الإبراهيم، نشر دار الآفاق العربية، بيروت، ٢٠٠٨م، ص ٩. وينظر: جون سكوت: خمسون عاماً اجتماعياً أساسياً: المنظرون المعاصرون، ترجمة محمود محمد حلمي، مراجعة، جبور سمعان، نشر الشبكة العربية،

فلسفية متداخلة، ومصطلحات صاحبة رنانة كلها تؤكد غياب المرجعيات، وتآكل الذات وفقدانها، وتآكل الموضوع وفقدانه، وهيمنة النسبية المعرفية، والقيم الأخلاقية؛ ومن ثم استحالة الوصول إلى فكرة الكل، سواء أكانت فكرة تعقل الإله، أو الأخلاق، أو الطبيعة البشرية، وحلول اللاعقلانية؛ حيث تختفي تماماً القيم والثوابت، ويصبح: "لكل فرد ثوابته، وتختفي بهذا أي معايير لتحل محلها لامتعارية كاملة ونسبية مطلقة، كل هذا يجري في عالم ذري لا قداسة فيه، فهي باختصار إنكار الأساس، والمرجعيات"^(١).

فمصطلح المادية السائلة، أو الحداثة السائلة، تعني مرحلة اللاعقلانية، والتي كانت أحد اهتمامات المفكر البولندي "زيغمونت باومان Zygmunt Bauman"، لكشف طبيعة موطن ما بعد الحداثة، هذا الموطن الذي يعد - من وجهة نظره -: "غرباء بلا جذور، ضلوا الطريق نتيجة أحمالهم الثقيلة من الشك والازدواجية"^(٢).

هذا يعني أن الحداثة السائلة من المصطلحات المرادفة لمصطلح السيولة الشاملة: "والتي تعني بتفتيت مركزية الإنسان، وإزاحته عن المركز الكوني (Decentering Man) بعد أن وضعته الحداثة الصلبة كمركز، وبعد أن فرض نفسه كمرجعية نهائية له، فجاءت المادية السائلة وقضت على هذا المركز، وجعلت كل الكائنات هي المركز؛ ليصبح الكون سائل بلا مركز"^(٣).

وإذا كانت الحداثة السائلة مرادفة لسيولة الشاملة، فإنه كان لزاماً أن ننبه على أن: "الحداثة السائلة"، انبثقت من رحم الحداثة الصلبة (Modernity Solid)^(٤). تلك الحداثة الغربية: "التي أنتجتها المفاهيم التي نشأت من خلال عصر

بيروت، ط١، ٢٠٠٩م، ص٨٥).

(١) د. عبد الوهاب المسيري: العلمانية والحداثة والعمولة، تحرير سوزان حرفي، نشر دار الفكر، القاهرة، ١، ١٤٣٤هـ، ٢٠١٣م، ص٢١٦.

(٢) جون سكوت: خمسون عالماً اجتماعياً أساسياً: المنظرون المعاصرون، ص٨٥.

(٣) د. عبد الوهاب المسيري: العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة، ج١، ص١٦٥-١٦٦.

(٤) **الحداثة الصلبة أو المادية الصلبة:** تعني الإيمان بأن الواقع المادي "الموضوعي" يحوي داخله ما يكفي لتفسيره دون حاجة إلى وحي أو غيب، وعقل الإنسان حينما يدرك الواقع فإنه لا يدركه كأجزاء متفرقة متناثرة، وإنما يدركه ككل متماسك، ويدرك أن حركة الأجزاء ليست حركة



التحديات المعاصرة للدراسات الإسلامية والعربية ... رؤى وآفاق

التنوير، مثل: الدولة الحديثة، المجتمع، الثقافة، والتي كان من سماتها التميز بالثبات، ووضوح الحدود والمعالم لما تبلور على النحو الذي أدى إلى التماسك حين يقارن بما حدث بعد ذلك من تحول وسيولة"^(١).

فالحياة، والثقافة اليوم - في عالم الحداثة السائلة - لم تعد: "ثقافة التعلم والتراكم، ولكنها ثقافة انسلاخ وانقطاع ونسيان بالكلية"^(٢).

وتُعرف الحداثة السائلة أيضًا بمرحلة الذوبان، والنسبية، وإلغاء الثنائيات: "ثنائية (الذات والموضوع)، و (الخير والشر)، و (الحقيقة والنسبية)، و (الأزلي والزمني)، «مرحلة إلغاء الروابط بين المدارات المتصلة بعضها ببعض، وسواء أكان هذا التفتت في حدود الدول، أو معالم المجتمع، أو سمات الهوية الفردية، أو خصائص الثقافات، أو القيم الأخلاقية، أو حتى المعتقدات الدينية، والتي كانت من نتاج واقع ما بعد الحرب العالمية الثانية»"^(٣).

ذلك الواقع الذي جعل الحياة الإنسانية مستهلكة تستنزف ذواتها في سبيل الإشباع، وأصبحت الحياة استهلاكية ومُستهلكة في آن معًا، ولمجاراة ركب الحضارة- بمفهومها الاستهلاكي الضيق - يستنزف البشر أنفسهم للشعور بالرضا، مدركين أو غير مدركين أن هذا الرضا نفسه لن يعيش سوى لحظة، وهذا الأمر لا ينطبق فقط على الحاجات اليومية المعيشية؛ بل على جل الأمور.

ففي عالم السيولة- ما بعد الحداثيّة- تتغير القيم، والهويات، وتسيل الحدود، وتفقد الحواجز التقليدية تأثيرها، سواء من خلال تدفق رأس المال، أو

عشوائية، وإنما هي تعبير عن هذا الكل الثابت المتجاوز؛ ولذا فهي حركة لها معنى وهدف، ولها معياريتها ومعقوليتها، فما يحدث يحدث حسب قانون مطرد ثابت وليس بالمصادفة العمياء (ينظر: د. عبد الوهاب المسيري، د. فتحي التريكي: الحداثة وما بعد الحداثة، ص ١٧).

(١) محمد سبيلا، عبد السلام بنعبد العالي: ما بعد الحداثة تجلياتها وانتقاداتها، نشر دار توبقال، المغرب، ٢٠١١م، ج ٣، ص ٦٧. (وينظر: كريستوفر باتلر: ما بعد الحداثة مقدمات قصيرة جدًا، نشر مؤسسة هندراوي، بيروت، ٢٠١٧م، ص ٦٥. وينظر: زيفمونت باومان: الأخلاق في عصر الحداثة السائلة، ص ١٠).

(٢) زيفمونت باومان: الأخلاق في عصر الحداثة السائلة، ص ٢٤٥.

(٣) المصدر نفسه: ص ١٠-١١.



تحرك المهاجرين، أو غير ذلك؛ لذلك فإن المحتمل: "أن أوضاع الناس ستظل متلونة، ومتعددة الأشكال بلا مركز، مثلما سيظل المغزل الذي تنسج منه تجربة الحياة متعددًا، ولمدة طويلة قادمة، وربما إلى الأبد"^(١).

الحداثة السائلة وموقفها من العقلانية: أما إذا انتقلنا لمنظور الحداثة السائلة للعقلانية، نجدها: "قائمة على إلغاء قيمة العقل النقدي، وإحلال العقل التفكيكي والأداتي بدلاً منه"^(٢). وإلغاء وتهميش الفلسفة، والميتافيزيقا؛ وذلك كردة فعل على الحداثة، ونتائجها التي عملت على تأليه العقل البشري في عصر التنوير.

إذاً فتيار ما بعد الحداثة - الحداثة السائلة؛ هو حركة فكرية ونقدية هدفها التحرر من المركزية، ومن الأسس العقلانية العلمية المطلقة، وهدم النظام، والمنطق، وكافة المبادئ التي نهض عليها مشروع الحداثة الغربية، ويستنبط من هذا، بأن المفهوم من تيار ما بعد الحداثة يوضح على أنه: تيار فكري تقويضي - أي يعمل على زعزعة المسلمات التقليدية الميتافيزيقية الغربية- تفكيكي، معاد للعلم ولمذهب العقلانية الحداثية، فكر يحاول أن يهرب تمامًا من الميتافيزيقا، ومن الحقيقة، والمركزية، والثبات، ويحاول أن يظل غارقاً في الصيرورة والنسبية!

يقول الفيلسوف الفرنسي "جان فرانسوا ليوتار Jean-François Lyotard - ١٩٢٤م/١٩٩٨م": "إن ما بعد الحداثة تتميز بالموقف المشكك من الحكايات الكبرى التي ورثها الفكر الحديث"^(٣). "ورفض التسليم بوجود مجموعة من المبادئ، أو المعتقدات، أو المسميات الفكرية العامة التي تسيطر على إبداعات مفكري عصر الحداثة"^(٤).

وإذا كانت الحداثة ترى: "أن النظرية العامة الشاملة الكلية تعكس الواقع، فإن ما بعد الحداثة ترى عكس ذلك"^(٥). بأن النظرية لا تقدم سوى منظورات

(١) زيغمونت باومان: الأخلاق في عصر الحداثة السائلة: ص ٢٦.

(٢) د. عبد الوهاب المسيري: العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة، ج ١، ص ٤٣.

(٣) جان فرانسوا ليوتار: الوضع ما بعد الحداثي تقرير عن المعرفة، ترجمة، أحمد حسان، نشر دار شرقيات، القاهرة، ط ١، ١٩٩٤م، ص ٢٤.

(٤) ستبورات سيم - بورين فان لاون: النظرية النقدية، ترجمة وتحقيق، جمال الجزيري، ص ١٠٨.

(٥) جان فرانسوا ليوتار: الوضع ما بعد الحداثي تقرير عن المعرفة، ص ٢٤.



جزئية عن الموضوع الذي تدور حوله.

فمن وجهة نظر "ليوتار"، تعد ما بعد الحداثة: "حركة فكرية تقوم على النقد والتشكيك وعدم الوثوق في كثير من الأسس، والمبادئ العامة الكلية التي سادت في عصر التنوير، ووجهت الفكر الحديث؛ بل و-كذلك- الأسس والمسلمات التي تركز عليها الحضارة الغربية الحديثة كلياً، وأن الزمن قد تجاوزها، وأن عصر الحداثة قد انتهى بالفعل، وأن الأوان للخروج من مشروع الحداثة بعد انحرافاته على مدار القرنين الماضيين"^(١). "واندلاع الثورات، وعلى رأسها ثورة مايو ١٩٦٨م بفرنسا؛ فكان هذا كفيل بإيدان انزلاق مزاعم الليبرالية، وتفنيد الأطروحة الإنسانية"^(٢).

ومن ثم فإن ما بعد الحداثة قد حان وقتها - بعدها مفهوماً نقدياً للفكر السابق- لقيام مجتمع جديد يركز على أسس جديدة، ومغايرة لتلك الأسس التي عرفها المجتمع الغربي الحديث؛ لهذا السبب يصف "ليوتار" مشروع التنوير بأنه يوتوبيا خيالية تكسرت على أرض الواقع القاسي.

وعلى ما سبق فإن مصطلح ما بعد الحداثة - الحداثة السائلة- يجمع في طياته عدة أمور، منها: "الغموض، والقطيعة"^(٣). و"عدم التحديد، وفقدان الأنا، والاختلال البنائي"^(٤). كما أنها: "حركة معادية للشكل، فوضوية، تنطوي على عوامل الهدم"^(٥). كما أنها تعتمد على: "تجاوز الصبغة الإنسانية للحياة الأرضية بصورة عنيفة، بحيث تتجاذب فيها قوى الرعب والمذاهب الشمولية، والانشقاق، وتوحيد

(١) د. الزواوي بغوره: ما بعد الحداثة والتنوير، ص١٦.

(٢) محمد الشيخ، ياسر الطاطري: مقاربات في الحداثة وما بعد الحداثة، حوارات منتقاه من الفكر الألماني المعاصر، نشر دار الطليعة، بيروت، ٢٠١٤م، ص١٧.

(٣) د. نايف سلوم: ما بعد الحداثة مقالات في النقد الفلسفي، نشر دار التوحيد، سوريا، ٢٠١٧م، ص٣٤.

(٤) محمد سيلا، عبد السلام بنعبد العالي: ما بعد الحداثة تجلياتها وانتقاداتها، ج٣، ص٤٩.

(٥) إيهاب حسن: تحولات الخطاب النقدي لما بعد الحداثة، إعداد وترجمة، السيد إمام، نشر دار الراافدين، بيروت، ط١، ٢٠١٨م، ص١٤.



الأديان، والتفتت، والتوحد، والفقر، والسلطة، وربما أدى ذلك إلى بداية عهد وحدة لكوكب الأرض، عهد جديد يتحد فيه الواحد مع الكثير"^(١).

لكن ما علاقة "ميشيل فوكو"، بالحدثة وما بعدها؟.

تتضح هذه العلاقة من خلال الوقوف على موقف الحدثة من الأنطولوجيا التاريخية ذلك أن الحدثة: "تيار من تياراتها التي تحاول إعادة النظر في قيم التنوير، ومنها الدين والقيم الأخلاقية على وجه التحديد، ولأن موضوع التنوير يعد موضوعاً مركزياً في دراستها التاريخية والفلسفية لما اصطاحت عليه تلك الأنطولوجيا بالعصر الكلاسيكي، أي القرنين السابع والثامن عشر كما ظهر جلياً في أهم كتب "ميشيل فوكو"، وبخاصة: تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي، والكلمات والأشياء، والمراقبة والمعاقبة"^(٢).

وترتهن الحدثة برهاناً أساسياً، وهو رهان الإنسان كمرجعية أولى للمشروع الذي خطته لنفسها منذ البداية، فلم تعد هناك مرجعية إلا مرجعية الذات التي تحمل في ذاتها مسؤولية التشريع والتفسير: "إنه إنسان" الكوجيتو - أي معرفة النفس بالنفس-، الذي انقطع عنه كل مدد عقله، ليفعل بمقتضى وحي الذات التي توصف تارة بأنها شريرة وتارة أخرى أنها خيرة، بحيث حددت هذه الذات إرادتها باعتبارها خالقة للقيم، معلنة عن تفرداها في هذا العالم تفرداً مطلقاً، ليموت الإله ويحيا الإنسان معزولاً عن كل مرجعية تمده بالقيم إلا من ذاته، التي تتحكم فيها محددات القوة التي تعود إلى وعي بيولوجي يؤكد على منطق الصراع والبقاء للأقوى"^(٣).

(١) إيهاب حسن: تحولات الخطاب النقدي لما بعد الحدثة، ص ٢٢.

(٢) د. الزاواوي بغوره: مدخل إلى فلسفة ميشيل فوكو، نشر دار الطليعة، بيروت، ط ١، ٢٠١٣م، ص ٢٠٤.

(٣) د. نورة بوحناش: الأخلاق والحدثة، نشر إفريقيا الشرق، المغرب، ٢٠١٣م من ص ٢٣.



ثالثاً: التعريف "بميشيل فوكو - Michel Foucault".

١- مولده ونشأته.

ولد الفيلسوف الفرنسي المعاصر: "في" بواتيه" بفرنسا في ١٥ من أكتوبر عام ١٩٢٦م، ١٢٤٤هـ، لأسرة ريفية بسيطة، والده الطبيب البارز "بول فوكو"، كان يأمل بأن يكبر ابنه ليشاركه مهنة الطب ويرثها بعده، ولكن "ميشيل فوكو"، كان في مراحل العلمية الأولى مترنحاً ما بين الجيد والمتوسط، حتى انتقل إلى "كوليدج سانت ستانيسلاس" بفرنسا، حيث تفوق فيها بامتياز، ثم التحق بمدرسة "الأساتذة العليا"، وهي إحدى المدارس الفرنسية الكبرى، حصل "ميشيل فوكو"، على شهادة الأستاذية عام ١٩٥٠م، ليعمل محاضراً في مدرسة "الأستاذية العليا"، ثم تقلد منصباً في جامعة "ليل"، بفرنسا، ليحاضر بها عام ١٩٥٣م، وفي عام ١٩٥٦م، عين مندوباً عن فرنسا إلى جامعة "أويسالا" في السويد، وهو منصب أعد له خصيصاً، وفي عام ١٩٥٨م اشتغل بجامعة "وارسوا" بالسويد، ثم عاد "ميشيل فوكو"، إلى فرنسا عام ١٩٦٠م، ليتابع الدكتوراة ويحصل أيضاً على شهادة في الفلسفة من جامعة "كليمونسوفيران" بفرنسا، وفي عام ١٩٦٠م حصل على الدكتوراة، بعد أن قدم بحثين كما هي العادة في فرنسا، وهما "تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي، والآخر ترجمة عن الفيلسوف الألماني "كانط"^(١).

وفي عام ١٩٦٦م انتقل "ميشيل فوكو"، إلى جامعة "تونس"، ثم عاد إلى فرنسا عام ١٩٦٩م واستمرت حياته العلمية مليئة بالعلم والتأليف، وفي السبعينيات وبداية الثمانينات شارك "ميشيل فوكو"، في نشاطات جنسية مثلية وسادية مازوشية، ويعتقد أنه في تلك المرحلة التقط عدوى "الإيدز"، وذلك قبل أن يتم التعرف على المرض ووصفه، وكان "ميشيل فوكو"، لا يعرف مدى فهم طبيعة مرضه، وكيفية إصابته أو انتقاله إليه، حتى وصفت حياته الجنسية في ذلك الوقت على أنها استكشاف علمي لأفكاره حول السلوك السوي والسلوك الشاذ والعلاقة ما بين اللذة والموت، وقد قال الفيلسوف الفرنسي "دانيال ديفرت ١٩٣٧-٢٠٢٣ Daniel Defert"، عن "ميشيل فوكو"، بأنه

(١) أ. روني إيلي ألفا: موسوعة أعلام الفلسفة العرب والأجانب، قدم له، الرئيس شارل حلو، راجعه، د. جورج نخل، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م، ج٢، ص١٦٨.



عندما ذهب إلى "سان فرانسيسكو" للمرة الأخيرة، اعتبر ذلك تجربته القصوى ، وتوفي "ميشيل فوكو"، بعد صراع طويل مع المرض، في باريس بتاريخ ٢٦ يونيو ١٩٨٤م^(١).

٢- تصنيف فلسفة ومنهجية "ميشيل فوكو" بين المفاهيم الأخرى.

ليس من اليسير تصنيف فلسفة "ميشيل فوكو"، وسبب ذلك يرجع إلى اختلاف وجهة نظر الباحثين في فهم وقراءة وتصنيف فلسفته، إلى بنوية وما بعد البنيوية، وما بعد الحداثة فقط، ولكن "فوكو" نفسه أسهم في تقديم أكثر من تصنيف لفلسفته وذلك تحت دعاوي عديدة، منها؛ القول بالقطيعة، والحق في الاختلاف، وضروريات البحث.

وبداية لقد استخدم "ميشيل فوكو"، المنهج البنيوي باعتباره: "من المفكرين الفرنسيين المعاصرين الذين واكبوا انتشار البنيوية فكرياً ونظرية وإيديولوجية ومنهجاً"^(٢)، ولكن ما لبث أن تخلّى عنها.

ولكي نعرف حقيقة الأمر، علينا أن ننظر في أعماله، فنجد أن أعماله متجسدة في ثلاث كتب أساسية تمثل منهجاً جديداً في مجال البحث العلمي فيما يتعلق بالظواهر الإنسانية، فأول هذه المؤلفات كتاب: "تاريخ الجنون في العصر الكلاسيك histoire L de la folie a l âge classique 1961"، حيث سعى من خلاله إلى تغيير النظرة والرؤية الكلاسيكية للجنون. والثاني كتاب: "ميلاد العيادة Naissance de la Clinique حيث برز للوجود عام ١٩٦٣م، وفيه حاول تحديد علاقة الجسد بالمرض موضحاً كيف أن العلاقة بينهما ليست بطبيعة ميتة، وإنما هي في ماهيتها أحداث ذات مرام ودلالات. وأخيراً مؤلفه الشهير الذي يحدد من خلاله منهجه "الأركيولوجي" والذي جاء بعنوان: الكلمات والأشياء Les mots et les choses وهو مخصص أيضاً لدراسة الظواهر الإنسانية.

ومن هنا لا يمكن فهم منهج الفيلسوف الفرنسي "ميشيل فوكو": "إلا بقراءة كتبه الثلاثة مجتمعة، حيث إن أي كتاب من هذه الكتب الثلاثة ليس كافياً أو مستقلاً بذاته،

(١) أ. روني إيلي ألفا: موسوعة أعلام الفلسفة العرب والأجانب، ج٢، ص١٦٨.

(٢) محمد علي الكردي: نظرية المعرفة والسلطة عند ميشال فوكو، نشر دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، د.ت، ص٨.



التحديات المعاصرة للدراسات الإسلامية والعربية ... رؤى وآفاق

فكل واحد منها يعتمد على الاثنين الآخرين ولا يفهم بدونها خصوصاً وأن الدراسة في كل منها تختص بكشف جزئي لمنطقة محددة^(١).

ويفهم من هذا أن هذه المؤلفات الثلاث "ميشيل فوكو"، متماسكة متكاملة فيما بينها، ناهيك عن الكتب الأخرى التي صدرت له على هذا النظام، مثل كتاب "نظام الخطاب L'ordre du discours عام ١٩٧١م، وكتاب "المراقبة والعقاب Surveiller et punir عام ١٩٧٥م، وكتاب "تاريخ الجنس Histoire du sexe عام ١٩٧٦م، وكتاب "أركولوجيا المعرفة"، الذي صدر عام ١٩٦٩م.

إذن ففلسفة "ميشيل فوكو" فلسفة: "ترتبط بأشياء عديدة بما بعد الحداثة، خصوصاً من جهة علاقتها - بالفيلسوفين الألمانين - "فريدريك نيتشه ١٨٤٤م- ١٩٠٠م"، و"مارتن هيدجر ١٨٨٩-١٩٧٦م"، ونقد العقل والكلية والتشاؤمية التي تصل إلى حد العدمية^(٢). وعلى الرغم من ذلك فإن "ميشيل فوكو" عندما سئل عن علاقته بما بعد الحداثة، قدم جواباً إنكارياً يدعو إلى الدهشة، قال: "ليس لي علم بذلك"^(٣).

وهذا ليس بغريب على "ميشيل فوكو" إذ إنه أنكر قبل ذلك علاقته بالبنوية، رغم كل هذه الصلات التي تربطه بهذا التيار، ويظهر ذلك جلياً في كتابه: "الكلمات والأشياء"، وهذا الموقف الإنكاري منه يشير إلى حرصه على الاختلاف والمغايرة، وسعيه الدائم وراء فكرة الانقطاع والتغير والتحول، ويؤكد هذا إجراؤه لحوار باسم مجهول، وكتابه لسيرته الذاتية باسم مستعار^(٤).

(١) عبد الوهاب جعفر: البنيوية بين العلم والفلسفة عند ميشال فوكو، نشر دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، د.ت، ص ٢٦.

(٢) د. الزواوي بغوره: مدخل إلى فلسفة ميشال فوكو، نشر دار الطليعة، بيروت، ط ١، ٢٠١٣م، ص ٢٣١.

(٣) ميشال فوكو: البنيوية وما بعد البنيوية، ترجمة، د. الزواوي بغوره، نشر غاليمار، باريس، ١٩٩٤، ص ٤٤٦.

(4) Denise Huisman. Dictionnaire des philosophes. Paris PUR. tome 1, 1981. p.223.



ولعل المناسب في تحديد التعبير عن فلسفة "ميشيل فوكو"، وعن مساره الفلسفي بمصطلح الأنطولوجيا التاريخية الذي أطلقه "ميشيل فوكو"، في أخريات حياته على مجمل فلسفته.

المنهج الأركيولوجي - الجينيولوجي: اعتمد "ميشيل فوكو"، المنهج "الأركيولوجي- الجينيولوجي" ^(١). منهجاً فلسفياً في التحليل والتأويل، وهو يعد بمثابة التعبير الجديد عن الخرائطية في التشريح والفهم لتاريخ المجتمعات، وتحليل الممارسات الخطائية، وطبيعة علاقتها بالمعرفة وسلطة المعرفة، ويرتكز هذا المنهج الجديد في الأساس على دعامتين جوهريتين، تتقدمهما اللغة الحضرية الممثلة في الأركيولوجيا، وتتبعها الجينيولوجيا النيتشواوية.

و يتجلى هدف المنهج الأركيولوجي الجينيولوجي لدى "ميشيل فوكو" في الكشف عن الأوجه الخفية للمجتمع الغربي، وإبراز حقيقة الحداثة الغربية، كما يكشف كذلك عن التقنيات والإستراتيجيات الممكنة التي تساهم في تشكل و تكوين نظام الأفكار، وحركية تعاقبها التاريخية ووظائفها المحورية التي تمتعنها في المجتمع.

فما هو هذا المنهج الأركيولوجي؟ وكيف استخدمه ووظفه "ميشيل فوكو"؟

الأركيولوجيا هي : "ذلك العلم الذي يقوم بالبحث عن أشياء ملموسة لحضارة قديمة تحت الردم منذ زمن بعيد، وهذا من خلال عملية البحث والتفتيش أو بالأحرى "التحفير"، فتوضع قيد الدراسة لتحليلها ثم إعادة تركيبها من جديد ، ومن ثم تبرز مظاهر الحياة القديمة، ذلك أن المتأمل بعمق في اللغة اليونانية يجده مشتق من اللفظ اليوناني أركيه أو Arche أما أرخايوس Arkhaios الذي يعني قديم" ^(٢).

(١) **الأركيولوجي- الجينيولوجي:** هي الكشف عن الآثار المادية للثقافات القديمة، بما فيها من الآثار المكتوبة ودراساتها. فهي كل دليل محسوس جيولوجياً، يتعلق بدراسة الصخور. **وأما الجينيولوجي:** هو البحث الذي يعني بالبحث في قيمة الأصل ، وأصل القيم في الوقت ذاته، وهي تتعارض مع الطابع المطلق للقيم كما مع طابعها السببي أو النفعي" (يراجع : جيل دولوز: نيتشه والفلسفة، ترجمة، أسامة الحاج، نشر المؤسسة الجامعية للدراسات ، لبنان ط١، ١٩٩٣م، ص٧. وينظر: University:Adrian Curtis,ed: Oxford Bible Atlas, Oxford Press,2007, P.185.

(٢) زكريا إبراهيم: مشكلات فلسفية، مشكلة البنية، نشر دار مصر للطباعة ، القاهرة، دت،



وتعرف " الأركيولوجيا " : " بأنها أنماط وقواعد الممارسات المقالية التي تنتقل عبر أعمال فردية بهدف قيادتها أو التحكم فيها . أما دور الجهد الفردي الخلاق باعتباره سبباً لوجود الإنتاج الفكري ومبدأ لوحده فهذا ما يبدو غريباً على هذه الأركيولوجيا " ^(١) . فالقصود منها أنها تسعى إلى تعريف المقال ذاته وإبراز قوانينه الخاصة به .

إذاً الأركيولوجيا لا تشغل بالاكشافات كما أنها لا تتفرغ للبحث عن الآراء الشائعة أو ما يردده الرأي العام في فترة معينة أو مكان محدد : " فهي تستهدف التوصل فقط إلى اطراد الممارسة المقالية ، وهي ممارسة تسير على وتيرة واحدة إذا كانت منبثقة عن نفس الحقبة المنطوقية " ^(٢) .

وهي بذلك تقوم بإبراز كل ما يشكل الخطاب من انجازات وممارسات كلامية ومنطوقية تخضع لقواعد ومبادئ إجرائية خاصة بها : " هذا الخطاب تدرسه في صورة أثر له مساحته الخاصة المستقلة ، وهذه المساحة التي يناط بها فك ما يرسم فيها من رموز وما ينتشر من علامات إلى أن تستنبط قواعد توزيعها ، ويعاد ترتيب ما تحرزه من ألوان الانجاز الخطابي الذي لا يحتاج فهمه إلى تفسير يسبقه أو تصور يلحقه " ^(٣) .

وعليه فموضوع الأركيولوجيا ليس اللغة وإنما الأرشيف أي الوجود المتراكم للخطابات فالأركيولوجيا كما يقول " ميشيل فوكو " : " ليست جيولوجيا أي تحليل لطبقات الأرضية ، ولا جينياولوجيا أي وصف البدايات والتواريخ وإنما هي تحنن الخطاب في صيغه أرشيف فالأرشيف إذا هو موضوع الأركيولوجيا والتحليل الأركيولوجي باعتباره ممارسه خطابية لها قواعدا وشروطها ومبادئها في وصف الخطابات وتشكلها وتحولها وشروط ظهورها وتراكمها وتسلسلها وأشكال وجودها وانبثاقها أو تلاشيها وضياعها " ^(٤) .

ص ١٣٣ .

(١) عبد الوهاب جعفر : البنيوية بين العلم والفلسفة عند ميشال فوكو ، ص ٨٤ .

(٢) المرجع نفسه : ص ٨٧ .

(٣) محمد علي الكردي : نظرية المعرفة والسلطة عند ميشال فوكو ، نشر دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، د.ت ، ص ١٢٣ .

(٤) د. الزواوي بغورة : مفهوم الخطاب في فلسفة ميشال فوكو ، نشر المجلس الأعلى للثقافة ، الجزائر ، ٢٠٠٠ م ، ص ١٢٢-١٢٣ .



من هنا إذا كانت الأركيولوجيا تحليلاً للتشكيلات الخطابية والوضعيات والمعارف من حيث علاقتها بالعلوم فإنها إذن تحليل للأنظمة المعرفية أو الإستيميات - أي مجموع العلاقات التي يمكن الوقوف عليها-، كما يشرحها "ميشيل فوكو": "ليست تعبيراً عن رؤية العالم، كما أنها ليست شكلاً من المجال التاريخي الممتد أو المصدر المشترك لكل المعارف والعلوم، ولا هي محطة من محطات تطور العقل واكتماله"^(١).

بل هي كما يراها "ميشل فوكو": "مجموع العلاقات التي بإمكانها أن توحد في فترة معينة بين الممارسات الخطابية التي تقسح المجال أمام أشكال إبستمولوجية وعلوم، وأحياناً منظومات مصاغة سورياً، إنها النمط الذي يتم حسبه الانتقال داخل كل تشكيلة خطابية إلى التنظير الإبستمولوجي والعلمية والصياغة الصورية عنها"^(٢).

ومن هنا فإن الباحث الأركيولوجي: "يدرس الملفوظات الصامتة، مما يسمح له بتجاوز البحث الجدي عن الحقيقة والمعنى الذي يصفه: فليست الأركيولوجيا أكثر من إعادة كتابة ولا شيئاً آخر غيرها"^(٣).

غير أن المصطلح لم يعد مقتصرًا في دلالته على علم الآثار فحسب، بل تعداه إلى الكشف عن الطبقة الحفرية التي تقوم عليها المعرفة، فيما بات يصطلح عليه عند "ميشيل فوكو"، بالأبستمية، أي أن مهمة: "الأركيولوجيا التي تتمثل بالضبط في كشف النقاب عن الطبقة الحفرية، إبرازها فوق السطح وتركها تعبر عن نفسها عن طريق تقديم ما تحتويه بين طياتها دون أية إضافة ودون إقحام الذات"^(٤).

(١) السيد ولد أباه: التاريخ والحقيقة لدى ميشيل فوكو، نشر دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٤م، ص١١٦-١١٧.

(٢) ميشيل فوكو: حضريات المعرفة، ترجمة، سالم يفوت، نشر المركز الثقافي العربي، لبنان، المغرب، ط٢، ١٩٨٧م، ص١٧٦.

(٣) أوبريد رافيسوس، بول راينوف: ميشيل فوكو، مسيرة فلسفية، ترجمة، جورج أبي صالح، مراجعة، مطاع صفدي، نشر مركز الإنماء القومي، رأس بيروت، لبنان، دت، ص٩٧.

(٤) ميشيل فوكو: نظام الخطاب، ترجمة، محمد سيلا، نشر دار التنوير للطباعة، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٤م، ص٨٦.



ومن ثم كانت مسلمة "ميشيل فوكو"، الأساسية في منهجه الأركيولوجي هي كما يلي : "دع المقال وحده يتحدث " بمعنى أصبح للأركيولوجيا أسس تستند عليها، لكن ما هي مستندات هذا المنهج الأركيولوجي؟

لقد كانت دراسة الشرائح المطمورة وتحليل الأرضية السفلى من أولى اهتمامات "ميشيل فوكو"، حيث يرى: "أنها تمثل البنية الضمنية للمعرفة "الأبستمية"، الخاصة بعصر معين"^(١).

ويبين "ميشيل فوكو"، أنه استعان ببعض السابقين عليه بهذه الأسس الداعمة للأركيولوجيا، فيقول: "أعلم جيداً أنه لم يكن بإمكانني القيام بهذه الأبحاث التي حاولت أن أقدم لكم صورة عنها لو لم أستمع للعون والمساعدة من بعض النماذج والدعائم"^(٢).

ولعل من أهم هؤلاء الذين استعان بهم "ميشيل فوكو": "العالم الفرنسي اللغوي جورج دوميزيل ١٨٩٨م- ١٩٨٦م Georges Dumézil"، الذي استفاد كثيراً من نصوصه، ناهيك عن تعليمه كيفية تحليل التفاعلات الداخلية للخطاب بطريقة أخرى غير طرائق التفسير التقليدي أو بواسطة طرائق الصورية اللسانية محاولاً من خلال ما علمه تطبيق هذه المنهجيات على خطابات مغايرة. كما أن هناك فكرة جاءت عن طريق ما قام به مؤرخو العلوم مثل الفيلسوف الفرنسي "جورج كانغيليم ١٩٠٤م- ١٩٩٥م Georges Canguilhem"، الذي ساعده هو الآخر على فهم تاريخ العلم. وأخيراً الفيلسوف الفرنسي "جان هيبوليت ١٩٠٧م- ١٩٦٨م Jean Hyppolite"، الذي اعتمد عليه أيضاً؛ وهذا باعترافه هو شخصياً حيث نجده يقول: "لكني أعتقد أنني مدين كثيراً لجان هيبوليت"^(٣).

بل وأكثر من ذلك يعود ويقول: "وذلك لأنني قد ورثت عنه بدون شك وجهة وإمكانية إنجاز ما أقوم به، وذلك لأنه غالباً ما أنار لي الطريق عندما كنت أحاول على غير هدى عندما عازمت على القيام بعملتي تحت إشرافه، وعندما عازمت على إتمامه - تقديم مشاريعي- إن المسائل التي أطرحها الآن تتجه صوبه وتتلاقى في اتجاهه، أي في

(١) ميشيل فوكو: نظام الخطاب: ص ٨٦.

(٢) المصدر نفسه: ص ٤٥.

(٣) المصدر نفسه: ص ٥٠.



اتجاه هذا التقص الذي أشعر فيه في نفس الوقت بغيا به وبتقصي الخاص" (١).

وما أود أن أشير إليه هو أن هذه الاعترافات بفضل هؤلاء عليه، قد أدلى بها "ميشيل فوكو"، في الخطاب الافتتاحي الملقى في الكوليج "دو فرانس" في ٢ ديسمبر ١٩٧٠م، وقد وضع "ميشيل فوكو"، القواعد التي اتبعها في بحثه الأركيولوجي أثناء الكشف عن بنية الفكر الغربي وتعريته انطلاقاً من دع المقال وحده يتحدث متبعاً ما يلي:

أولاً: "عدم الالتزام بالقطاعات المعرفية المعترف بها والقطاع المعرفي وهو ما يسمى علماً ليس في الحقيقة سوى مجموع من القضايا تطبق على العديد من الوقائع المتفرقة. وهذه القطاعات يجب أن لا نرى فيها سوى وقائع مقالية.

ثانياً: لكي يظهر تفرد هذه الوقائع المقالية Ces faits discursifs ولكي لا نبتعد عن مستوى المقال ينصحننا "ميشيل فوكو"، بوقف جميع الوحدات التي تكونت بفعل عمليات مفسرة "أي تسلل إليها العنصر الذاتي، وأول هذه الوحدات هو الكتاب، ولا يغيب عنا بهذا الصدد أن هدم الكتاب إنما يعني عدم الاعتراف بأي مؤلف . والمقصود بذلك أنه يخرج المقال من الوحدات التي تنبع عن فعل التفسير - أي الذات المفسرة -.

ثالثاً: التخلص من الأفكار العامة التي تضمن استمرار لا متناهي للمقال، والتخلص من أي عنصر يدعي إقامة استمرار ليس له ما يبرره بين عدد من الشواهد المقالية، ويتبع ذلك الابتعاد عن التفسيرات التي تعتبر المسار التاريخي متصلاً. ويعني بذلك التخلص من كل العناصر التي تؤدي بالمقال إلى الاستمرار.

رابعاً: التخلص من بعض المفاهيم كالتقليد والتأثر والنمو والتطور والعقلية والنفس، ويترتب عن ذلك كله أن نتجنب التأليف السيكلوجي، أي ما تقدمه الذات من تأليفات سيكلوجية" (٢).

لكن ما هي خصوصيات المنهج الأركيولوجي الجينيولوجي لدى ميشيل فوكو؟ وما هي طبيعة العلاقة الموجودة بين الأركيولوجيا والجينيولوجيا حسب وجهة

(١) عبد الوهاب جعفر: البنيوية بين العلم والفلسفة عند ميشال فوكو، ص ٣٦.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٦.



نظر فوكو؟. وفيمن يكمن دور ومكانة المنهج الأركيولوجي الجينيولوجي في فلسفته النقدية ؟.

والإجابة على هذه التساؤلات كالتالي: هناك خصوصيات للمنهج الأركيولوجي الجينيولوجي ومكانه في فلسفة "ميشيل فوكو"؛ حيث وصف "ميشيل فوكو"، الأركيولوجيا، بأنها: "ممارسة لها أشكال التسلسل و التعاقب الخاصة بها"^(١). حيث تتلخص في إعتبار: "أن الأركيولوجي يرجع إلى التاريخ وكأنه مكتوب بلغة منسية مهجورة ليست لغته إنه يعلق على هذه العودة الفطرية التي توجد بين الباحث و موضوعه، و يقوض التيار التواصلية الذي يسمح بالقول بالارتباط الثقافي بين المؤرخ و المؤرخ له"^(٢).

كما يوضح "ميشيل فوكو"، نظريته أكثر حول الأركيولوجيا في حوار أجراه مع الكاتب والصحفي الفرنسي "ريمون بيلور ١٩٣٩م - Raymond Bellour"، مصرحاً بما يلي: "لا أعني بالضبط بأن الأركيولوجيا هو علم، و لكنه ميدان بحث، ويتمثل فيما يلي: في المجتمع، المعارف، الأفكار الفلسفية، الآراء اليومية، ضف إلى ذلك أيضاً المؤسسات التجارية، و إجراءات الشرطة، الأعراف، و الكل يحيل إلى معرفة ضمنية خاصة بهذا المجتمع"^(٣).

فمن خلال التعريف الذي قدمه "ميشيل فوكو"، تبدو ملامح الحفر والنقد في منهجه واضحة.

أما فيما يخص البعد الجينيولوجي في منهج "ميشيل فوكو" الجديد؛ فإننا نلمس فيه مدى تأثيره بجينيولوجيا "نيتشه"، بحيث كان الدرس الأساسي الذي إستخلصه منها هو: "ذلك الربط الموجود بين تاريخية المفاهيم وتاريخية العقل بتاريخ الجسد، أي الكشف عن الجذور المعيارية للمقولات العقلية، والدوافع النفسية والحيوية للمنطلقات

(١) ميشيل فوكو: علم آثار المعرفة، ترجمة، د. الزواوي بغوره، نشر غاليمار، باريس، ١٩٦٩م، ص ٢٢٠-٢٢١.

(٢) السيد ولد اباه: التاريخ والحقيقة لدى ميشيل فوكو، نشر دار المنتخب العربي للدراسات، بيروت، ط١، ١٩٩٤م، ص ٩٨.

(3) Raymond Bellour: le livre des autres: entretiens, union generale dm editions, Paris, 1978, p.14.



حتى أكثرها إيغالاً في الصورية والتجريد"^(١).

فالجينيولوجيا هي بمثابة تأريخ للحقيقة، وهذا يعني أن التاريخ الذي يريد الجينيولوجي القيام به، يهدف إلى تبيان: " أن الأحداث التاريخية، تجد تفسيرها الحقيقي في تحديد طبيعة الحقيقة التي تشكل مادة التاريخ، ذلك أن الإنسان وهو يشغل، ويتكلم ويحيا ويرغب، وهو بهذا يشكل تاريخه الخاص"^(٢). وذلك ما يضيف بصمة نقدية للتاريخ الجينيولوجي، أين تبدأ حفرة الجينيولوجيا في الحدث الأركيولوجي، إذ تبدأ الأركيولوجيا في أخذ صبغة جينيولوجية، أو ما يمكن تسميته بالأركيولوجيا الجينيولوجية.

إن هذا الجمع بين الأركيولوجيا والجينيولوجيا هو ما يسمى بالتحليلية التفسيرية، ومن مهمات الجينيولوجيا: " أن تظهر الجسد غارقاً مباشرة في الميدان السياسي، وأن علاقات السلطة تخترقه، وأن المعرفة متورطة في الصراع الدنيء لعلاقات الهيمنة، وهذه هي الموضوعات الكبرى؛ كالسلطة و الجسد والقيم الأخلاقية، التي سيحللها "ميشيل فوكو"، بالإستناد إلى الجينيولوجيا، و بالتناوب مع الأركيولوجيا"^(٣).

و من هذا المنطلق، فإن أركيولوجيا "ميشيل فوكو"، ما هي إلا إحدى هذه الطرق والمناهج التي تسمح لنا بالوصول إلى الحقيقة، وكشف خبايا وخفايا الأرشيف وما يوجد وراء ستار الخطابات والمعارف الرسمية.

لكن الأركيولوجيا عند "ميشيل فوكو" لا تستطيع بذاتها الوصول إلى مبتغى الفعل الفلسفي فلا بد أن تستند بجينيولوجيا "نيتشه"، مستندة على ما يسميه "فوكو"، **"بالأبستمية L'épistémè"** التي يعرفها بأنها: "مجموع العلاقات التي يمكننا الوقوف عليها في فترة ما، بين العلوم حينما نحل مستوى ما كإنتظاماتها الخطائية"^(٤).

(١) السيد ولد اباه: التاريخ والحقيقة لدى ميشيل فوكو، ص ٧١.

(٢) إدريس هواري: جينيولوجيا الحقيقة عند ميشيل فوكو، مجلة فكر ونقد، بيروت، العدد ١٣، د.ت، ص ١٧.

(٣) د. الزواوي بغورة: مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو، نشر المجلس الأعلى للثقافة، المغرب، ط ١، د.ت، ص ١١٤.

(٤) ميشيل فوكو: علم آثار المعرفة، ص ٢٥٠.



أي أن الأبستمية تعني: " تلك المقولات الموضوعية Catégories objectives التي تحدد طبيعة البنية المعرفية لكل عصر، بمعنى أن أي بنية فكرية لا توجد هكذا في العدم في صورة منفصلة عن باقي البنى الفكرية الأخرى، بل إنها توجد في اطار معين تحتك وتلتقي فيه مع بنى فكرية مختلفة، وهذا الاطار يدعى بالحقل الإبستمولوجي ، هو تصور يلعب دوراً جوهرياً في إطار المنهج الأركيولوجي الجينالوجي العام الذي اتبعه "ميشيل فوكو"، في بحثه عن الحقب المعرفية و الحضر عن خفاياها، وبالتالي يمكن القول بأن مفهوم "الابستمية"، أضفت بعداً نقدياً وموضوعياً لطبيعة البنى المعرفية لكل حقبة زمنية ولكل عصر"^(١).

وعلى هذا الطرح، تصبح "الإبستمية"، إحدى الوحدات الأساسية في المنهج "الأركيولوجي - الجينالوجي" الذي ابتكره "ميشيل فوكو"، بعدما كان الأرشف هو كذلك الدليل الشرعي في التعرف على الأرضية المعرفية لثقافة أي مجتمع والتقيب فيها، وبهذا المنحى تصبح معرفة البنى هي معرفة ما يدير أفكارنا وأعمالنا .

وعليه فإن المنهج الأركيولوجي الجينالوجي باعتباره منهجاً جديداً للتحليل والتفكيك، هو- نوع من هدم القيم الأخلاقية والميتافيزيقا ليفصح عن قوة التأكيد والإثبات - للفلسفة المفتوحة-، فالمنهج الأركيولوجي- الجينالوجي لا يقول للناس ماذا يجب فعله، لأنه يتخلى عن مشروع العقلانية و مشروع الحداثة الغربية، فهو بمثابة خطاب فلسفي يخترق ويتجاوز جدران الفكر الغربي و هويته الحقيقية، ليعيد إستنتاج وإعادة قراءة ذلك التاريخ الرسمي للمجتمع الغربي و ثقافته.

وعلى ما سبق فإن "ميشيل فوكو"، قدم مقاربة فلسفية بين الجسد وأركيولوجيا المعرفة-السلطة- محلاً للواقع التاريخي والراهن من زاوية سوسيو فلسفية نقدية، مستقرناً الجسد كحدث معرفي من خلال نظريته ما بعد البنيوية مبيناً حضور الجسد في حقل الألعاب السلطوية لأن هذا الأخير- الجسد -بات محل دراسة وتشريح معرفي علمي من قبل العقل الأداتي.

(١) ميشيل فوكو: علم آثار المعرفة، ص ٢٥٠.



٣- مؤلفاته.

يعد "ميشيل فوكو"، من ضمن الفلاسفة المعاصرين الذين لهم إنتاج غزير في تأليف الكتب؛ وتعد هذه المؤلفات أكاديمية ومتخصصة في مجال الفلسفة بوجه عام، وفلسفة ما بعد الحداثة بوجه خاص، ومن ضمن هذه المؤلفات: "تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي"، الذي صدر عام ١٩٦١م، و"الكلمات والأشياء عام ١٩٦٦م"، و"أركولوجيا المعرفة عام ١٩٦٩م". و"نظام الخطاب L'ordre du discours عام ١٩٧١م"، وكتاب "المراقبة والمعاقبة Surveiller et punir عام ١٩٧٥م"، وكتاب "تاريخ الجنس Histoire du sexe عام ١٩٧٦م"، و"حريات المعرفة عام ١٩٨٧م"، و"يجب الدفاع عن المجتمع، دروس أُلقيت في الكوليج دي فرانس، عام ٢٠٠٣م"، و"تاريخ الجنسية إرادة العرفان عام ٢٠٠٤م"^(١). و"تأويل الذات عام ٢٠١١م". و"الاهتمام بالذات جمالية الوجود وجرأة قول الحقيقة عام ٢٠١٥م"، إلى غير ذلك من المؤلفات الأجنبية والعربية التي ذكرت في ثنايا البحث.

هذا عن مولده ونشأته وتصنيف فلسفته ومنهجه وأهم مؤلفاته، وأما الحديث عن القيم الأخلاقية عند "ميشيل فوكو"، فهذا ما سيكون الحديث عنه في المبحث القادم.

(١) روني إيلي ألفا: موسوعة أعلام الفلسفة العرب والأجانب، ص ١٦٨.



المبحث الثاني

القيم الأخلاقية في فلسفة "ميشيل فوكو".

أولاً: القيم الأخلاقية والذات في فلسفة "ميشيل فوكو".

تعد القيم الأخلاقية من الموضوعات الهامة في فلسفة "ميشيل فوكو"، حيث اهتم بالبحث فيها في أعماله المتعلقة بتاريخ الأخلاق الجنسية القديمة، وحاول الإجابة على: "مولد الأخلاق بوصفها نظراً وتفكيراً في الجنسية والرغبة والمتعة واللذة"^(١).

وأن مدار موضوع تاريخ الجنسية هو تشكل المواقف الأخلاقية وصلتها بالبنيات السياسية، خصوصاً ما بين التحكم في الذات والتحكم في الآخرين، والنماذج المعرفية، وتحديد معرفة النفس ومعرفة مختلف النشاط الإنساني.

ويقدم "ميشيل فوكو"، حول موضوع القيم الأخلاقية: "دراسات نموذجية خاصة بالتاريخ الثقافي اليوناني، والروماني، ليس بوصفه تاريخاً اجتماعياً أو دراسة للعادات والسلوك الجنسي، بل بوصفه تاريخاً للكيفية التي نظر بها القدماء إلى الجنسية في علاقته بما يسميه فنون العيش أو الحياة أو جماليات الوجود"^(٢). أي كيف يمكن للفرد أن يتحكم في حياته حتى يعطيها شكلاً وأسلوباً جميلاً قدر الإمكان في نظره وفي نظر الآخرين، وفي نظر الأجيال المقبلة حتى يصبح مثلاً وقدوة.

وهذه العلاقة أو الكيفية تدخل في سياق إشكالية عامة هي: "إشكالية علاقة الذات بالحقبة، أو كيف أشكلت المسألة الجنسية، أي أصبحت إشكالية، أو كيف يصبح موضوعاً ما، من الموضوعات إشكالية"^(٣).

ويستنتج من النصوص السابقة، أن "ميشيل فوكو"، قدم تأويلاً شاملاً لمساره الفلسفي تحت اسم الذات ألعاب الحقيقة وعلاقات السلطة، وإذا كان "ميشيل

(١) ميشيل فوكو: هاجس الحقيقة في أقوال وكتابات، ترجمة، د. الزواوي بغوره، نشر غاليمار،

باريس، ١٩٩٤م، ج٤، ص٦٦٨.

(٢) المصدر نفسه: ص٦٦٨-٦٧٠.

(٣) المصدر نفسه: ص٦٧٠.

فوكو" يرى ذلك؛ فما موقفه من الذات التي من دونها لا تؤسس الأخلاق؟.

والإجابة على هذا السؤال: اختلف الباحثون في تقدير موقف "ميشيل فوكو": "من الذات إلى درجة التناقض" ^(١). ولعل السبب يرجع إلى أن "ميشيل فوكو" نفسه قد قدم في مرحلته الأولى من مسيرته الفلسفية، ذاتاً خاضعة ومهيماً عليها وتخضع للحكم والقيادة، وموضِعاً لكل الأساليب والتقنيات أو ضحها وأبرزها التقنيات المعتمدة في السجن، أما في المقاربة الثانية من مسيرته الفلسفية، فيظهر ذاتاً سيدة وحرّة" ^(٢).

ولعل من يقرأ حوار: "عودة الأخلاق" ^(٣). يدرك بسهولة ويسر أن "ميشيل فوكو"، كان هدفه الأساسي هو كتابة تاريخ الذات، والحقيقة، والسلطة، والسلوك أو التصرف الفردي، فكيف يمكن "لمشيل فوكو"، تفسير هذا التعارض أو التناقض؟.

ويجيب "ميشيل فوكو"، على هذا التعارض: فيقدم تفسيراً لهذا التعارض، من جهة ما يتصل بمساره الفلسفي، ومن جهة مفهومه للذات، حيث رأى في المقاربتين المتعارضتين ما يشير إلى: "طريقتين متعاكستين في تحليل السؤال ذاته، وهو: كيف تتشكل تجربة ثقافية من خلال ترابط العلاقات ما بين الذات وبين الآخرين" ^(٤). أي كيف تنشأ تجربة ثقافية من خلال علاقة الذات وعلاقتها بالآخرين المحيطين بها.

إن هذا الإقرار من "ميشيل فوكو"، يعني بوحدة الإشكالية وبالاختلاف في المنهج المعبر عنه باسم "الأركولوجيا" أو الوصف، و"الجينولوجيا" أو البحث التاريخي التأويلي، كما يعني دفاع الفيلسوف عن وحدة فلسفته، على الرغم من إقراره باختلاف أسلوبه في المعالجة، وذلك بالنظر إلى اختلاف طبيعة الموضوع: "فالمجنون والمريض والمجرم يقتضي إظهار العمليات التي يسميها "التواضع" - أي

(1) Aubin Deckeyser , Ethique, du sujet, problematize, a partir de Foucault, trajectorie au Coeur du present, paris, paris, L, Harmattanm 2006. P.19-56.

(2) Michel Foucault: Le retour de la morale, In. Dits et écrits, tome 4. Paris, 76 Gallimard, 1994, p.733.

(3) Ibid: p.733.

(٤) ميشيل فوكو: هاجس الحقيقة في أقوال وكتابات، ج٤، ص ٦٧٠.



الأمر التي ترتبط بالعالم الواقعي الخارجي-، في حين أن الجنس يقتضي إظهار وإبراز عمليات "التدويت" - أي الرجوع للذات والأفكار الداخلية للإنسان-، وعمليات التوضيع والتدويت تشكل إجابة للإشكالية المركزية، ألا وهي كيفية تشكل تجربة ثقافية، من خلال مجالات المعرفة وأنماط المعايير وأشكال الذاتية"^(١).

أما من جهة مفهوم "ميشيل فوكو" للذات، فإن "فوكو"، يدافع عن معنى خاص للذات قائم على التمييز بين الذات بوصفها جوهرًا يتميز بالسيادة والكونية، وبين الذات بوصفها شكلًا متغيرًا ومتحولًا، وفي ذلك يقول: "يجب أن نميز، بدايةً، أنه ليس هنالك ذات سيدة ومؤسسة لها شكل كوني يمكن أن نجده في كل مكان، إنني أشك في وجود مثل هذا التصور، وإنني أناهضه، وأرى العكس من ذلك. إن الذات تتشكل وتتكون من خلال ممارسات الإخضاع والتحرر والحرية، مثلما هي الحال قديمًا، وذلك انطلاقًا من عدد معين من القواعد والأساليب والاتفاقات التي نجدها في الوسط الثقافي"^(٢).

إن "ميشيل فوكو"، في هذا النص ينظر إلى الذات باعتبارين:

الاعتبار الأول: أنها جوهر داخلي ثابت.

والاعتبار الثاني: أنها شكلًا متغيرًا في الواقع من خلال الأفعال التي يقوم بها الإنسان والمواقف الأخلاقية التي يمر بها ، ومن هنا يرى: "أن الذات تتشكل وتتكون من خلال ممارسات الإخضاع والتحرر والحرية، مثلما هي الحال قديمًا، وذلك انطلاقًا من عدد معين من القواعد والأساليب والاتفاقات التي نجدها في الوسط الثقافي"^(٣).

و يفهم من ذلك أيضًا: أن ما حاول إليه "ميشيل فوكو"، في تقديمه باسم عمليات "التوضيع" و"التدويت"، هو محاولة لنقد نظرية سائدة في الذات عبرت

(١) ميشيل فوكو: استخدام المتع ، ترجمة، د. الزواوي بغوره، نشر غاليمار، باريس، ١٩٨٤، ص١٠.

(٢) ميشيل فوكو: جمالية الوجود، ترجمة، د. الزواوي بغوره، نشر غاليمار، باريس، ١٩٩٤، ص٧٣.

(٣) ميشيل فوكو: أخلاقيات هاجس الذات كممارسة للحرية، في أقوال وكتابات، ترجمة، د. الزواوي

بغوره، نشر غاليمار، باريس، ج١٩٩٤، ص٧١٨.

عنها الفلسفة الظواهرية - تنتسب إلى الفيلسوف الألماني "إدموند هوسرل" ١٨٥٩م- ١٩٣٨م^(١)، والفلسفة الوجودية - تنتسب إلى الفيلسوف الفرنسي "جان بول سارتر ١٩٠٥م- ١٩٨٠م"، خير تعبير، ومن ثم تقديم منظور جديد لذات: "تشكل في هذا الشكل المحدد أو ذاك، بوصفها ذاتاً مجنونة، أو ذاتاً مريضة، أو ذاتاً مجرمة، ومن خلال عدد من الممارسات التي هي ألعاب حقيقة، وممارسات السلطة ... وكان علي أن أرفض عدداً من النظريات القبّلية - أي النظريات التي قال بها السابقون من قبل - حول الذات حتى أتمكن من إنجاز تحليل العلاقات الممكنة ما بين تشكل وتكون الذات أو الأشكال المختلفة للذات، وألعاب الحقيقة وممارسات السلطة"^(١).

في هذا النص يريد "ميشيل فوكو"، أن يقول أن الذات لها مواقف متعددة؛ حيث حلل العلاقات المختلفة للذات بصورها المتنوعة عن طريق إيجاد تحليل جوهري للذات، والعوامل التي تجعلها تتعد في أساليبها في التعامل مع الآخرين.

ومما لاشك فيه أن مسألة علاقة الذات بالحقيقة والسلطة هي التي أعطت لأعماله الأخيرة وجهة جديدة؛ لأنها طرحت إشكالية حول فلسفته كلها، ألا وهي منزلة الذات في هذه الفلسفة المناهضة للذات. أو بتعبير آخر، لا يتصل الجنس بالأخلاق فقط، وإنما بموضوع قول الحقيقة حول الذات من خلال الاعتراف، وهو الموضوع الذي اهتم به في أعماله الأخيرة، وأطلق عليه اسم تقنيات الذات (techniques de soi) يقول "ميشيل فوكو": "لا تتمثل مشكلتي في تحديد اللحظة التي ظهرت فيها الذات. ولكنها تتمثل في مجمل العمليات التي من خلالها توجد الذات مع مختلف المشكلات والعراقيل أو العقبات، ومن خلال الأشكال التي لم تنته بعد، يتعلق الأمر إذن بإدخال مشكلة الذات التي تركتها جانباً في أعمالي الأولى، ومحاولة تتبع المسالك والصعوبات خلال تاريخها"^(٢).

وإذا كان الحديث عن الجنس يفرض بالضرورة الحديث عن الذات، فإن "ميشيل فوكو"، قد عمد إلى إيجاد مخرج لفلسفته المناهضة للذات أو على الأقل الناقدة للذات، وذلك من خلال كتابه "تاريخ الذات"، بما هو: "عملية بها تتكون

(١) ميشيل فوكو: أخلاقيات هاجس الذات كممارسة للحرية، ص ٧١٨.

(2) Michel Foucault: Le retour de la morale. In. Dits et écrits, tome 4. p.705.



الذات، أكثر تدقيقاً من الذاتية التي هي مجرد إمكانية معطاة لتنظيم الوعي بالذات" ^(١).

وعلى ما سبق فإن الذات التي يتحدث عنها "ميشيل فوكو"، ليست جوهرًا ثابتًا، بل هي شكل ثقافي وتاريخي محدد، وفي ذلك يقول: "ليست هذه الذات جوهرًا، وإنما هي شكل، وأن هذا الشكل ليس هو ذاته دائماً" ^(٢). لذلك فإن "ميشيل فوكو"، قام بدراسة الأشكال التاريخية للذات، ومن هذه الأشكال الذات الراضية، وفي ذلك يقول: "كيف نفسر أن الإنسان الحديث يبحث عن حقيقته في رغبته الجنسية؟" ^(٣).

إن الذات الأخلاقية التي قال بها "ميشيل فوكو"، لا يمكن فصلها بأي حال من الأحوال عن الذات عند "رينيه ديكارت ١٥٩٦م-١٦٥٠م"، و"إيمانويل كانط ١٧٢٤م-١٨٠٤م"، ومن المعلوم أن "ديكارت"، يعتبر مؤسس الذات العارفة في الفلسفة الحديثة من خلال مقولته المشهورة: "أنا أفكر إذن أنا موجود" ^(٤). وفصله بين مجال العلم والأخلاق، وإن كان "كانط"، قد جعل الذات ترتبط بالمعرفة والأخلاق في الوقت نفسه.

وهنا تساؤل: ما هي العلاقة بين الذات الأخلاقية وبين الذات المعرفية؟.

لقد تمت مناقشات عديدة في عصر التنوير حول ما إذا كانت هاتان الذاتيتان مختلفتين أم لا، لقد كان حل "كانط"، يتمثل في اقتراح ذات كونية كلية، وبما أنها كونية فإنها قادرة على أن تكون ذاتاً معرفية، ولكنها تقتضي في الوقت نفسه موقفاً أخلاقياً يتمثل تحديداً في هذه العلاقة مع الذات التي اقترحها "كانط"، في كتابه "نقد العقل العملي" ^(٥).

(1) Michel Foucault: Le retour de la morale. In. Dits et écrits, p. 706.

(٢) ميشيل فوكو: أخلاقيات هاجس الذات كممارسة للحرية، ص ٧١٨.

(3) Michel Foucault: Interview de Michel Foucault, op-cite p.657.

(٤) روني ديكارت: تأملات ميتافيزيقية في الفلسفة الأولى، ترجمة، كمال الحاج، منشورات عويدات، بيروت، ط٤، ١٩٨٨م، ص ٥٠.

(٥) ميشيل فوكو: حول أنساب الجماليات، لمحة عن العمل الجاري، في أقوال وكتابات، ترجمة، د. الزواوي بغوره، نشر غاليمار، باريس، ١٩٩٤م، ج٤، ص ٦٣١.



وإذا كان هذا النص يحدد موقف الفيلسوفين من الذات، فإن "ميشيل فوكو"، يقدم رأياً يعكس قربه من "كانط"، مقارنة "بديكارت"، وذلك من خلال : "تأكيدِه أن "كانط"، أدخل منهجاً جديداً إضافياً في تقاليدنا، وبفضل هذا المنهج لم تعد النفس معطاة فقط، بل مكونة في علاقة مع الذات كموضوع"^(١).

بمعنى تحقق ما أنجزه باسم عمليات "التوضيع" و"التذويت": "وهذا هو الموقف الذي سيدافع عنه "ميشيل فوكو"، بعد انتصاره إلى ذات تاريخية في مقابل ذات كونية "كانطية"^(٢).

ولا يمكن فصل الذات من وجهة نظر "ميشيل فوكو"، عن علاقات السلطة فعلى سبيل المثال: "فقد تم دراسة حقيقة الجنون في علاقتها بمؤسسات الحجر، وبعمليات الإبعاد والاقصاء، والجريمة، ضمن مؤسسة السجن التي تعبر بنفسها عن علاقات السلطة التي لا تظهر في عمليات الإبعاد، وإنما في الإجراءات التصحيحية من خلال مختلف المشاريع التي تطبقها على المجرم، والجنس، ونظراً إلى الفترة التاريخية التي اختارها فإنها تتحدد من خلال الاعتراف والإقرار"^(٣).

لذلك رأى "ميشيل فوكو": "أن الثقافة الغربية قد دخلت منذ القرن السابع عشر في ثلاث سلاسل هي: الأبعاد والجنون، والحقيقة بالنسبة إلى المجنون، والتصحيح والسحر والحقيقة بالنسبة إلى المجرم، والجنس والاعتراف والحقيقة بالنسبة إلى الفعل الجنسي"^(٤).

ويحتل الاعتراف سواء في مجال القضاء أو في التحليل النفسي أو في الدين المسيحي مكانة أساسية، ويتمتع بقيمة مركزية في موضوع البحث عن الحقيقة لماذا؟.

ويجيب "ميشيل فوكو"، قائلاً: "لأن الاعتراف يتضمن تصوراً أساسياً حول

(١) المصدر نفسه: ج٤، ص ٦٣١.

(٢) د. الزواوي بغوره: مكانة الأنطولوجيا التاريخية من الفلسفة الكانطية، نشر المجلة العربية للعلوم الإنسانية، بيروت، ٢٠٠٦م، العدد ٩٣، السنة ٢٤، ص ١٢٩-١٥٩.

(3) Michel Foucault: Interview de Michel Foucault, op-cite p.657.

(4) Ibid: p.657.



طريقة وجودنا مرتبطاً بما أسميه الواجبات بالنسبة إلى الحقيقة"^(١).

وتتضمن هذه الواجبات عنصرين أساسيين هما: "الاعتراف بالفعل المؤدى أو المقترف، كالاقرار بالجريمة. والعنصر الثاني: أن تعرف الذات حقيقتها، وأن تقدر على روايتها، وأن تبين وتبرهن وتعترف بها بوصفها كذلك أي حقيقة"^(٢).

أي أن "ميشيل فوكو"، يرى أن اعتراف الإنسان بخطايا أمر مطلوب في القضاء وعند التحليل النفسي وعند الطوائف المسيحية، وفي هذا الاعتراف يقف الإنسان بين أفعاله التي صدرت منه في الواقع، وما كان يجب عليه أن يفعله غير الأفعال التي صدرت منه في موقفه الذي يعترف فيه بأفعاله.

وعلى ذلك يمكن القول إن القيم الأخلاقية وعلاقتها بالذات في فلسفة "ميشيل فوكو"، تركز على عدة مفاهيم وأسس منها اللجوء إلى الإرث الثقافي اليوناني والروماني، وعلاقة الذات بالسلطة، والبحث التاريخي الأركيولوجي، ويميز "ميشيل فوكو"، في تاريخ الأخلاق: ما بين القواعد الأخلاقية، والأفعال الأخلاقية، ويعطي الأفضلية، وذلك وفقاً لمنهجه المهتم بالممارسات والتقنيات، للمواقف والسلوك الأخلاقي الواقعي للأفراد.

ثانياً: التفرقة بين القواعد الأخلاقية والأفعال الأخلاقية عند "ميشيل فوكو".

إذا تتبعنا وجهة نظر "ميشيل فوكو"، في تاريخ الأخلاق، وخاصة من خلال كتابه "تاريخ الجنسية"^(١)، لوجدنا أن "ميشيل فوكو"، يميز في تاريخ الأخلاق: ما بين القواعد الأخلاقية (code morale) والأفعال الأخلاقية (act morale)، ويعطي الأفضلية، وذلك وفقاً لمنهجه المهتم بالممارسات والتقنيات، للمواقف والسلوك الأخلاقي الواقعي للأفراد، ويسوغ موقفه هذا بحجة أن التصرف أو السلوك هو الموقف الحقيقي للأفراد تجاه تصوراتهم الأخلاقية"^(٢).

في هذا النص يميز "ميشيل فوكو"، ما بين القواعد الأخلاقية، والأفعال الأخلاقية، ولكنه يعطي الأفضلية، للمواقف والسلوك الأخلاقي الواقعي للأفراد، وكانت حجة في ذلك أن التصرف أو السلوك هو الموقف الحقيقي للأفراد تجاه تصوراتهم الأخلاقية، أي ما يعبر عنه عملياً في الخارج بالأفعال الأخلاقية التي تدل

(1) Michel Foucault: Interview de Michel Foucault, op-cite p.658.

(2) Ibid: p.658.



على القواعد الأخلاقية الموجودة بداخل الإنسان، وهذا ما نسميه (العلاقة بين السلوك والخلق) فهي علاقة الدال بالمدلول.

ويميز "ميشيل فوكو" بين ما يدل على علاقة الإنسان بنفسه، وأ تلك العلاقة التي يجب على الفرد أن يؤسسها مع نفسه، بحيث تحدد هذه العلاقة الطريقة التي يتشكل بها كذات أخلاقية، وذلك من خلال أفعال خاصة، أو ما اصطلح عليه بالخلق (ethon)، فالأخلاق عند "ميشيل فوكو"، لها ثلاثة مستويات أو معان، الأول: متصل بالأخلاق بما هي قواعد تحدد المسموح والممنوع، والثاني: متصل بالأفعال والتصرف والسلوك والمعاملة، والثالث: يتميز بنوع العلاقة التي تنسجها الذات مع نفسها، من خلال جملة من الوسائل والأساليب التي تمكنها من تحويل ذاتها، كما هي الحال على سبيل المثال في الزهد وأشكاله المختلفة التي تحددها الغاية أو الغاية الأخلاقية (teleologie morale) ^(٣).

والغرض من هذا الإجراء المنهجي هو إبراز المعنى الثالث الذي عكف على دراسته في كتابه "الاهتمام بالذات"، خصوصاً في درسه: تأويل الذات ^(٤).

حيث حل الحكمة القائلة: "اهتم بنفسك" وبين معانيها المختلفة، ومنها لا يعني الاهتمام بالنفس (souci de soi Epimelera heautou) الاهتمام بذات النفس فقط، ومن ثم استبعاد كل ما لا يتصل بالنفس، وإنما تعني العمل والتطبيق والممارسة والحماس تجاه شيء من الأشياء، وكذلك العناية التي نقوم بها تجاه تراثنا مثل ما ذهب إليه الكاتب المسرحي اليوناني "أرسطوفان ٣٨٦-٤٤٦ ق.م"، في

(١) ميشيل فوكو: تاريخ الجنسانية، إرادة العرفان، ترجمة، محمد هشام، أفريقيا الشرق، المغرب، ٢٠٠٤م، ص ١-٥.

(٢) ميشيل فوكو: حول أنساب الجماليات، ج ٤، ص ٦١٨.

(٣) ميشيل فوكو: الاهتمام بالذات جمالية الوجود وجراً قول الحقيقة، تقديم وترجمة، محمد أزويطة، نشر أفريقيا الشرق، المغرب، ٢٠١٥م، ص ٩-١٠ (وينظر: ميشيل فوكو: تأويل الذات، ترجمة، د. الزواوي بغور، نشر دار الطليعة، بيروت لبنان، ٢٠١١م، ص ٦١٨).

(٤) ميشيل فوكو: الاهتمام بالذات جمالية الوجود وجراً قول الحقيقة، ص ٩-١٠ (وينظر: ميشيل فوكو: تأويل الذات، ص ٦١٨).



عنايته بمسؤولية العاهل أو الملك تجاه مواطنيه، واهتمام الطبيب بمرضاه" ^(١).

ويتضح من هذا النص أن "ميشيل فوكو"، يرى أنه يجب على الإنسان أن يهتم بنفسه بالجانب الأخلاقي ولكن دون الاقتصار على ذلك فقط، بل يجب أن تتعدى أفعاله الأخلاقية إلي الآخرين، وأن يطبق الأخلاق تطبيقاً عملياً، وهذا ما مثّل له بعلاقة الطبيب مع مرضاه.

من هنا، يرى "ميشيل فوكو"، أن الاهتمام يتصل: " بالنشاط والانتباه والمعرفة" ^(٢). وما يستخلص من هذا التاريخ الغني والمتشابه هو فكرة جماليات الوجود، أو كما قال: "إن الأثر الفني الرئيس الذي يجب علينا أن نهتم به، والمنطقة الكبرى التي يجب أن نطبق عليها قيمنا الجمالية هي ذات أنفسنا، وحياتنا الخاصة. ووجودنا" ^(٣).

وهنا يميز "ميشيل فوكو"، بين الاهتمام بالنفس، وبين تحويل الوجود إلى أثر فني، وبين المظاهر السلبية للذات الحديثة في صورة الفردية والعزلة، والتمركز حول الذات التي بلغت درجة عبادة الذات، ليؤكد أن الاهتمام بالذات في القديم وعبادة الذات المعاصرة متعارضان تعارضاً كلياً، لماذا؟.

لأن ما حدث في نظره يعد قلباً كلياً للثقافة الكلاسيكية حول النفس، وذلك بفعل ما أدخلته المسيحية من مضمون للنفس يقوم على إنكارها والتخلص منها، ولكن مع ذلك فإن هنالك عناصر من الاهتمام بالنفس الكلاسيكي يمكن الوقوف عندها في الذات الحديثة، خصوصاً عند الفنانين" ^(٤). بل وأكثر من هذا فإن "ميشيل فوكو"، يرى أن الثورة ليست فقط مشروعاً سياسياً، بل هي أسلوب وجودي له جمالياته، وزهده، وأشكاله الخاصة بالذات وبالآخرين" ^(٥).

بعد أن بينت القيم الأخلاقية وعلاقتها بالذات في فلسفة "ميشيل فوكو"،

(١) ميشيل فوكو: تأويل الذات، ترجمة، د. الزواوي بغور، ص ٦١٨.

(٢) ميشيل فوكو: حول أنساب الجماليات، ص ٦٢٣.

(٣) المصدر نفسه: ص ٦٢٣.

(٤) د. الزواوي بغوره: مدخل إلى فلسفة ميشيل فوكو، ص ٢٤٠.

(٥) ميشيل فوكو: حول أنساب الجماليات، ص ٦٢٩.

واتضح لنا أنها تركز على عدة مفاهيم وأسس منها اللجوء إلى الإرث الثقافي اليوناني والروماني، وعلاقة الذات بالسلطة، والبحث التاريخي الأركيولوجي، وعلمنا أن "ميشيل فوكو"، يميز في تاريخ الأخلاق: ما بين القواعد الأخلاقية، والأفعال الأخلاقية، ويعطي الأفضلية، وذلك وفقاً لمنهجه المهتم بالممارسات والتقنيات، للمواقف والسلوك الأخلاقي الواقعي للأفراد ويسوغ موقفه هذا بحجة أن التصرف أو السلوك هو الموقف الحقيقي للأفراد تجاه تصوراتهم الأخلاقية، نبين قيمة الحرية وجدلية السلطة في فلسفة "ميشيل فوكو" الأخلاقية، حيث لا يمكن فهم قيمة الحرية خارج السلطة، بما هي مجموعة من علاقات القوة، وذلك في مقابل بنية سياسية كالدولة أو الحكومة أو طبقة اجتماعية مهيمنة أو السيد مقابل العبد، فالسلطة حاضرة دائماً في نسيج العلاقات الإنسانية، وهي محاولة دائمة لقيادة.

ثالثاً: قيمة الحرية وجدلية السلطة في فلسفة "ميشيل فوكو" الأخلاقية.

لا يمكن فهم قيمة الحرية خارج السلطة، بما هي مجموعة من علاقات القوة، وذلك في مقابل بنية سياسية كالدولة أو الحكومة أو طبقة اجتماعية مهيمنة أو السيد مقابل العبد: "إن علاقات السلطة تخترق العلاقات الإنسانية مهما كانت، سواء تعلق الأمر بالمحادثة، أو بممارسة الجنس، أو بالمؤسسات، فإن السلطة حاضرة دائماً في نسيج العلاقات الإنسانية، وهي محاولة دائمة لقيادة الآخرين"^(١).

وإذا كانت علاقات السلطة تتميز بطابعها المتحرك والمتغير، بما أنها تنشر على الجسد الاجتماعي كله، فإن أهم ما يميزها على الإطلاق، في نظر "ميشيل فوكو"، هو الحرية، فلا وجود لعلاقات السلطة في غياب الحرية، إن الحرية: "شرط لممارسة السلطة، وأن ممارسة السلطة تقتضي حداً أدنى من الحرية عند الطرفين، وإلا انتفت عملية السلطة، وهذا يعني أن علاقات السلطة تتضمن دائماً إمكانية المقاومة، ومع أن القول بأن السلطة توجد في كل مكان يفيد غياب الحرية"^(٢).

إن "ميشيل فوكو"، يناقض هذه النتيجة بالقول: "إذا كانت هنالك علاقات

(١) ميشيل فوكو: أخلاقيات هاجس الذات كممارسة للحرية، ص ٧٢٠.

(٢) المصدر نفسه، ص ٧٢٠.



سلطة في الحقل الاجتماعي، فلأن هنالك حرية في كل مكان" ^(١).

إن هذا الإقرار من "ميشيل فوكو"، لا ينفي في نظره: "وجود حالات من الهيمنة والسيطرة والإخضاع، لأن هنالك حالات حيث تكون علاقات السلطة مثبتة ودائمة، وحيث يكون هامش الحرية محدوداً للغاية، لذا يرى أن إحدى المهام الأساسية للفلسفة هي المهمة النقدية المتمثلة في نقد مختلف أشكال الهيمنة، إن هذه المهمة النقدية مشتقة، بدرجة معينة من الحكمة السقراطية: "أسس نفسك بحرية، وذلك من خلال التحكم في نفسك" ^(٢).

ومن هنا فإن "ميشيل فوكو"، يخلص إلى أن إحدى مميزات الأخلاق القديمة تكمن في البحث في ما سماه أخلاق الوجود (ethique de l'existences) بمعنى: "هذا الجهد الذي يؤكد على الحرية، وأن يعطي لحياته شكلاً يتم الاعتراف به من قبل الآخرين، ومن ثم يتخذه الخلف مثلاً لهم" ^(٣).

وتتمثل هذه الأخلاق الوجودية: "إن صحت العبارة في تلك الإرادة التي تمكن الفرد من أن يحول حياته إلى أثر فني، وتختلف كلية عن تلك الأخلاق المسيحية القائمة على الطاعة واحترام القواعد والنظم الدينية التي ستظهر لاحقاً بعد تراجع الأخلاق اليونانية والرومانية الأولى، ولكنها في الوقت نفسه تطرح مسألة العلاقة مع الفلسفة الوجودية عامة، خصوصاً عند "جون بول سارتر" ^(٤).

وإذا كانت الأخلاق عند "ميشيل فوكو"، ترتبط بموضوع الحقيقة والذات، من خلال ألعاب الحقيقة، وعلاقات السلطة، التي درس أشكالها العديدة خصوصاً شكل الاهتمام بالنفس في المرحلتين "الهيلينية والهلنستية" ^(٥)، الذي أدى إلى ظهور

(١) ميشيل فوكو: أخلاقيات هاجس الذات كممارسة للحرية، ص ٧٢٠.

(٢) المصدر نفسه: ص ٧٢٩.

(٣) ميشيل فوكو: جمالية الوجود، ص ٧٣١.

(٤) ميشيل فوكو: حول أنساب الجماليات، ص ٦٣١.

(٥) **الهيلينية**: هي لفظة يونانية مستمدة من كلمة هلين، وهي ترجع إلى ما قبل القرن الرابع الميلادي، وهي تعبر عن الثقافة والحضارة اليونانية القديمة البحتة (ينظر: أرنولد توينبي: تاريخ الحضارة الهلينية، ترجمة رمزي جرجس، مراجعة د. صقر خفاجة، نشر دار أمهات الكتب، القاهرة، ٢٠٠٣م، ص ١٩).



ممارسات من الزهد أطلق عليها اسم الزهد الفلسفي، وحدده بقوله: " ليس بالمعنى الأخلاقي للإنكار، وإنما بمعنى تمرين النفس على نفسها، وبحيث تتكون خلاله وتتحول وتبلغ نوعاً من الأسلوب الوجودي"^(١).

إن ما يميز هذا الزهد الفلسفي هو طابعه الحر، وليس طابعه التحرري، وذلك لكون "ميشيل فوكو"، يميز بين التحرر وبين الحرية، أو بالتدقيق بين ممارسة التحرر وبين ممارسات الحرية.

ويمثل "ميشيل فوكو"، بمثابة نموذجي على ذلك هو علاقة المستعمر بالمستعمر التي تتحدد بالتحرر، فيقول: "نعرف جيداً في هذا المثال تحديداً أن ممارسة التحرير لا تكفي لتحديد ممارسات الحرية التي تصبح في ما بعد ضرورية حتى يستطيع هذا الشعب وهذا المجتمع وهؤلاء الأفراد، ويقدر أن يحددوا أشكالاً مقبولة لوجودهم أو للمجتمع السياسي"^(٢).

إن "ميشيل فوكو"، لا يتردد في تفضيل ممارسة الحرية على عملية التحرر، لأن التحرر يبدو كأنه تحرر من قيود معينة، وأنه بمجرد رفع هذه القيود القمعية يستعيد الإنسان طبيعته الحرة، وعلاقته الإيجابية مع نفسه، لذا فانها تبدو كأنها تعبير عن مرحلة أولى تحتاج الى مرحلة ثانية ألا وهي مرحلة الحرية.

على أن الذي لا شك فيه هو أن ممارسة الحرية تقتضي قدراً من التحرر، ولكن في هذه الحالة يجب استعمال مفهوم آخر هو مفهوم الهيمنة. من هنا يميز "ميشيل فوكو"، بين: "الهيمنة وعلاقات السلطة، وذلك بحكم أن علاقات السلطة أوسع بكثير من الهيمنة وأكثر انتشاراً في المجتمع والعلاقات الإنسانية، كما تتميز علاقات السلطة بالتعقد في حين أن حالات الهيمنة تتسم بالانسداد والثبات، وأما

الهائية : هي ذلك الحضارة التي تمتد من وفاة الإسكندر الأكبر ٣٢٣ق. وحتى قيام الأمبراطورية الرومانية علي يد أكتافوس أغسطس ٢٧-٤٤ق.م (ينظر: ذي وليم وود ثورب تارن: الحضارة الهلينية، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد، مراجعة، زكي علي، تقديم، مصطفى النشار، نشر سلسلة ميراث والمركز القومي للترجمة، القاهرة، ١٩٥٤م، ص٣٧).

(١) ميشيل فوكو: أخلاقيات هاجس الذات كممارسة للحرية، ص٧٠٩.

(٢) المصدر نفسه: ص٧٠٩.



علاقات السلطة فمتحركة ولا تتعارض مع الحرية بل مشروطة بالحرية، وأما حالات الهيمنة فتتصف بغياب ممارسات الحرية، أو أنها تكون موجودة بشكل أحادي أو محدودة، وفي مثل هذه الحالة فإن التحرر يصبح شرطاً سياسياً وتاريخياً لازماً للحرية، يقول "ميشيل فوكو": "يفتح التحرر مجالاً جديداً لعلاقات السلطة، يتعين على ممارسات الحرية أن تراقبه"^(١).

أي أنه في بعض السياقات التاريخية والاجتماعية والثقافية، يصبح التحرر والصراع والنضال من أجل التحرر شرطاً لازماً لممارسة الحرية، وبالنظر إلى صلة الجنس بقاعدة المنح والحرية.

رابعاً: التحكم في الذات وعلاقته بالأفعال الجنسية في فلسفة ميشيل فوكو" من منظور تاريخي.

إن الأخلاق الجنسية القديمة من منظور "ميشيل فوكو"، تتحدد بقاعدة التحكم في الذات، أو السيطرة على الذات، وتظهر في ثلاثة مجالات مختلفة هي: العلاقة بالجسد والصحة، والعلاقة مع المرأة خصوصاً مع الزوجة، والعلاقة مع الغلمان. وفي مختلف هذه المجالات فإن على الفرد أن يكون سيّداً على نفسه وعلى الآخرين.

وهنا يتساءل "ميشيل فوكو"، سؤالاً هاماً: ما أصل هذه القاعدة الخاصة بالتحكم في الذات؟ هل هي مشتقة أو ناتجة من قاعدة عامة في المنع، أم أنها نابعة من إرادة في إقامة قاعدة، أو البحث عن شكل أو عن نوع من التقشف؟

ويجيب "ميشيل فوكو"، قائلاً: "مما لا شك فيه أن لليونان جملة من الممنوعات، منها: منع زنى المحارم، ولكن الفلاسفة - من وجهة نظره- لم يهتموا بهذه الممنوعات قدر اهتمامهم بهذه الإرادة في السيطرة على النفس"^(٢).

إذن فإن "ميشيل فوكو"، لا يقدم لنا تفسيراً واضحاً لأصل الأخلاق الجنسية اليونانية، وإنما يكتف: "بوصف وتحليل تشكّلها، أو تكونها وممارستها، وهذا يعد اتساقاً مع منهجه الذي اصطلح عليه بالأركيولوجيا أو الوصف والجينالوجيا أو

(١) ميشيل فوكو: أخلاقيات هاجس الذات كممارسة للحرية، ص ٧٠٩.

(2) Michel Foucault: Lordre du discours, Paris. Gallimard 1971, p.71.



البحث في البدايات وليس في الأصول الثابتة " (١).

ويتضح لنا ذلك جلياً عندما قدم "ميشيل فوكو"، قراءة تاريخية وتأويلية للأخلاق القديمة اليونانية والرومانية، قائمة على جملة عن المعطيات التاريخية والفلسفية: تتضح لنا من قراءتنا لمحاورات "أفلاطون ٣٤٧ق.م- ٤٢٧ق.م" ونصوص الرواقية المتأخرة أو الرومانية عند فلاسفتها أمثال "إبكتيتوس ٥٥ق.م- ١٣٠ق.م"، و"ماركوس أوريليوس ١٢١م - ١٨٠م"، وتدور هذه الأخلاق على موضوع مشترك هو الاهتمام بالنفس ومعناه، أنه ومن أجل أن يسلك الفرد مسلكاً سديداً، ومن أجل أن يمارس الفرد - كما يحب - حريته عليه أن يهتم بنفسه، وذلك من خلال معرفة النفس وتكوين النفس، والقدرة على ضبط النفس وتجاوزها، والتحكم في رغباتها التي قد تهلكها، والتحقيق ذلك وجب الاهتمام أو الاعتناء بها " (٢).

إذن يتضح لنا بعد عرض هذه النصوص؛ أن موضوع الأخلاق في العالمين الإغريقي والروماني قد ظهر في صورة الاهتمام بالنفس، وأن الحرية الفردية قد اتخذت صورة أخلاقية، وبذلك أخذت الأخلاق القديمة شكلها المتميز القائم على الممارسة المتبصرة للحرية وعلى الحكمة القائلة: "اهتم بنفسك" المماثلة والموازنة والمسيرة والمتابعة في الوقت نفسه لحكمة: "اعرف نفسك" (٣).

وهنا سؤال : إذا كانت الأخلاق القديمة قائمة على حكمة الاهتمام بالنفس، فما هي معنى الحرية في هذه الأخلاق؟.

ويجيب "ميشيل فوكو"، ويرى: "أن اليونان أشكلوا وصاغوا موضوع الحرية والحرية الفردية في صيغة أخلاقية، ولكن للأخلاق في هذا السياق معنى محدد عند اليونان، وهو الخلق، أي نوع من الأسلوب في الحياة وطريقة في التصرف والسلوك، إنها طريقة في العيش وفي التعامل بشكل مرئي مع الآخرين، ويطرح هذا الخلق في طريقة اللباس والتصرف والكلام والهدوء الذي يستجيب به المرء

(1) Ibid: p.71.

(2) Ibid: p.71.

(٣) ميشيل فوكو: تأويل الذات، ترجمة، د. الزواوي بغوره، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ٢٠١١م، ص ٧١١.



تجاه جميع الأحداث، إن هذا الخلق يعد بمنزلة الاستجابة المموسة لمعنى الحرية^(١).

وهذا يعني أن ما يهتم به اليوناني، وفقاً لتحليل "ميشيل فوكو"، هو ممارسة الحرية، مما ينجم عنه ربط مباشر بين الحرية وبين الخلق، أو بتعبير آخر إن للحرية - بوصفها ممارسة يومية-، علاقة وطيدة بل ضرورية مع ضبط النفس والاهتمام بالنفس والاعتناء بها.

ولكن ما هي حدود هذه الحرية، خصوصاً إذا علمنا أن اليونان القديمة كانت تعيش ضمن نظام ثقافي واجتماعي قائم على انقسام المجتمع إلى طبقتين طبقة الأحرار، وطبقة العبيد؟.

لا شك في أن اليوناني كان يدرك أن الحرية تعني انعدام العبودية، وهو معنى مغاير للمعنى الحديث للحرية، ولكنه يؤكد في الوقت نفسه المعنى السياسي، لأن عدم العبودية تجاه الآخرين أصبح شرطاً، وبالتالي فإن العبد ليس مطالباً بالأخلاق، بحكم غياب الحرية، ولكن للحرية في هذا السياق الثقافي معنى آخر يتمتع بأهمية خاصة في نظر "ميشيل فوكو": "وهو ألا يكون المرء عبداً لشهواته ونزواته، وهذا يتطلب قدراً من السيطرة على النفس، ونوعاً من السلطة على النفس، وإرادة في قيادة النفس"^(٢).

ولكن ما علاقة الاهتمام بالنفس بالاهتمام بالآخر؟. خصوصاً إذا علمنا أن أي فهم للأخلاق يستوجب التعامل مع الآخر.

وهنا يرى "ميشيل فوكو": "أن الاهتمام بالنفس عند اليونان مبدأ أخلاقي في ذاته هذا أولاً؛ وثانياً: أن هذا المبدأ الأخلاقي يتضمن علاقات مع الآخرين، وذلك على اعتبار أن الخلق يقتضي الاهتمام بالآخرين، وأن الرجل الحر الخلق هو الذي يعرف كيف يهتم بالآخرين، من خلال قيادته على أفضل وجه لزوجته وأولاده وعائلته ومنزله؛ من هنا، فإن الاهتمام بالنفس يتضمن فناً كاملاً يسميه"

(١) ميشيل فوكو: أخلاقيات هاجس الذات كممارسة للحرية، ص ٧٤.

(٢) المصدر نفسه: ص ٧٤.



ميشيل فوكو"، فن الحكم والقيادة"^(١).

أما عن ثالثاً: "فإن الاهتمام بالنفس قد أصبح شرطاً للحكم في المدينة، ولحكم الجماعة، أو لتولي مناصب عامة كمنصب القضاء، أو في علاقات الصداقة التي تتمتع بمكانة مهمة في اليونان القديمة، وكذلك الحال في الدراسة والتعليم الذي يقتضي الاستماع والإنصات إلى درس المعلم. ومن هنا خلص الفكر الأخلاقي اليوناني إلى الإقرار بالحاجة إلى القائد والمستشار والصدّيق والمعلم، أو إلى من يقول الحقيقة، وتعتبر هذه الأشكال من العلاقات بمنزلة الدليل على صلة الاهتمام بالنفس من خلال الاهتمام بالآخر. ويعتبر "سقراط ٤٧٠ ق.م - ٣٩٩ ق.م"، مثلاً نموذجياً للفيلسوف الذي اهتم بنفسه، وفي الوقت نفسه اهتم بغيره، وذلك من خلال مختلف محاوراته ومناقشاته مع الآخرين، ودعوته الدائمة لهم بضرورة الاهتمام بالنفس"^(٢).

وتتجلى بوضوح علاقة الاهتمام بالنفس بالآخرين في موضوع السلطة: " فإذا كان الفكر الأخلاقي اليوناني يتحدد في مقابل الاستعباد فإنه كان يرى أن الخطر الأكبر يتمثل في تجاوزات السلطة، حيث يتم خرق القانون، والاستسلام للنزوات والرغبات والأهواء، ولقد توقف الفكر الأخلاقي والسياسي اليوناني كثيراً عند صورة الطاغية الذي يستغل قوته وثروته ونفوذه من أجل تحقيق نزواته ورغباته، وبالتالي لا يتردد في الظلم والاعتداء على الآخرين، وفرض سلطته الجائرة، إن هذا الطاغية يظهر في الحقيقة كأنه عبد لأهوائه ونزواته، وفاقد للسيطرة على نفسه، ويرجع السبب في ذلك إلى عدم الاهتمام بالنفس، وبهذا المعنى فإن الاهتمام بالنفس يعني ممارسة السلطة على النفس، بحيث يتحول الاهتمام بالنفس إلى قاعدة أساسية وشرط أولي لممارسة الحكم"^(٣).

يقول "ميشيل فوكو": "إن الطغيان ناتج عن عدم الاهتمام بالنفس والوقوع فريسة وعبدًا للأهواء وذلك لأنك إذا اعتنيت بنفسك كما يجب، أي أنك إذا عرفت

(١) ميشيل فوكو: أخلاقيات هاجس الذات كممارسة للحرية، ص ٧١٤.

(٢) المصدر نفسه: ص ٧١٤-٧١٦.

(٣) المصدر نفسه، ص ٧١٦.



معرفة وجودية من تكون، وإذا عرفت حقيقة ما تقدر عليه، وإذا عرفت ماذا يعني أن تكون مواطناً في المدينة، وسيداً لمنزلك، وإذا عرفت الأمور التي يجب الاهتمام بها، والأمور التي يجب تركها، وإذا عرفت أخيراً أنه يجب عليك ألا تخاف من الموت، عندها فإنه لا يمكن أن تتجاوز سلطتك وتتعدى على الآخرين"^(١).

وعلى الرغم من تأكيد "ميشيل فوكو"، على علاقة الاهتمام بالنفس من خلال الاهتمام بالآخر، إلا أنه أشار إلى مسألة منهجية مهمة وهي أننا: "لا نستطيع القول أن الرجل اليونان الذي يهتم بنفسه كان عليه أن يهتم بالآخرين أولاً. إن هذا الموضوع لم يتم طرحه إلا متأخراً، فمن غير الوارد إعطاء الأولوية للاهتمام بالآخر قبل الاهتمام بالنفس، إن الاهتمام بالنفس اهتمام أولى أخلاقي، وذلك بالنظر إلى أن العلاقة مع الذات سابقة وأولية وجودياً أو أنطولوجياً"^(٢).

صحيح أن موضوع الاهتمام بالنفس: "قد تحول في المسيحية إلى عملية إنكار للنفس، وإلى قطع العلاقة مع الشؤون العامة، ولكن في اليونان القديمة كان الاهتمام بالنفس لا يتعارض مطلقاً مع الاهتمام بالآخرين؛ ولعل ما تجدر إليه الإشارة هو أن القدماء من اليونان والرومان لم يقصروا أخلاقهم على الجنس فقط، بل كانت لهم أخلاق سياسية، وعلى رأس هذه الأخلاق على الإطلاق الصراحة (parrnesia) أو قول الحق (dire vrai) وعدم الظلم، والعدالة..."^(٣).

والسؤال الذي يطرح نفسه بعد عرضنا لعلاقة الأخلاق بالجنس، و بفن الوجود. ما علاقة القيم الأخلاقية عند "ميشيل فوكو"، بما قبل الميلاد، وإلى القرنين الأول والثاني الميلاديين بحياة المجتمعات المعاصرة عموماً، والمجتمعات الغربية خصوصاً؟.

والجواب : لقد استقى "ميشيل فوكو": " فكرة الأخلاق بما هي أسلوب في

(١) ميشيل فوكو: أخلاقيات هاجس الذات كممارسة للحرية: ص ٧١٦.

(٢) المصدر نفسه: ص ٧١٥-٧٢١.

(٣) أفلاطون: محاورة جورجياس لأفلاطون، ترجمها عن الفرنسية، محمد حسن ظاظا، راجعها، د. علي سامي النشار، نشر الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، ١٩٧٠م، ص ٨١-٨٧.

الحياة من المؤرخ الأمريكي (بيتر براون ١٩٣٥م Peter Brown) ^(١) حيث تتميز هذه الأخلاق - بوصفها أسلوباً في العيش - بكونها تتوجه إلى عدد محدود من الأفراد، ولا تطلب من الجميع أن يمتثل إلى مخطط واحد من التصرف أي أنها تخص نخبة من الأفراد الأحرار، ولكن مع ذلك فإن هذه الأخلاق قد تمددت وتوسعت في المرحلة الرومانية، على الرغم من أن الجميع لم يكن مجبراً على اتباعها. لقد كانت أخلاقاً اختيارية ^(٢).

وبالنظر إلى التحليلات التي أجراها على هذه الفترة، فإن "ميشيل فوكو"، لم يتردد في تعريف الأخلاق بالحرية، أو كما قال في واحد من حواراته الأخيرة: "الاهتمام بالنفس بوصفة ممارسة للحرية، ليست الأخلاق إلا ممارسة واعية للحرية" ^(٣). وقال أيضاً: "تعتبر الحرية بمنزلة الشرط الوجودي للأخلاق، ولكن الأخلاق هي الشكل الواعي الذي تتخذه الحرية" ^(٤).

إذا كان هذا القول يفيد تلازم الأخلاق والحرية، فلماذا هذا الربط بين الأخلاق والحرية، خصوصاً إذا علمنا أن الأخلاق التي درسها هذا الفيلسوف ترتبط ارتباطاً عضوياً بمسألة الجنس؟

لا نعتقد أننا نجانب الصواب إذا قلنا إن أهم قيمة أخلاقية وسياسية دافع عنها "ميشيل فوكو"، هي قيمة الحرية من حيث هي ممارسة، وبما أن الجنس يعد جزءاً من حياتنا ومن سلوكنا، فإنه بالتالي يشكل جزءاً من حريتنا التي يجب أن نستمتع بها، مثلما نستمتع بحريتنا في الإبداع يقول: "إن الجنسية شيء نبذعه بأنفسنا، إنه إبداعنا وعلينا أن نفهم أنه مع رغباتنا، ومن خلالها تؤسس أشكال

(1) Peter Brown. La Genèse de antiquité turdive. Paris. Gallimard, 1983,p,120.

Michel Foucault: Le souci de la verité. In. Dits et écrits, tome 4 Pars Gallimard. 1994.p.646-649.

Michel Foucault: Le style de shistoire. In. Dits et écrits tome & Paris. Gallimard, 1994. p. 649-655.

(2) Michel Foucault: Le retour de la murale, op cite p.699.

(٣) ميشيل فوكو: أخلاقيات هاجس الذات كممارسة للحرية، ص ٧١.

(٤) المصدر نفسه: ص ٧١.



جديدة من العلاقات، وأشكال جديدة من الحب والإبداع إن الجنس ليس قدرًا محتومًا وإنما هو إمكانية لبلوغ حياة مبدعة" ^(١).

وإذا كان الأمر كذلك فإن "ميشيل فوكو": "يطالب بالحق في الحرية الجنسية كجزء من الحقوق المدنية، وأن يكون على رأس هذه الحقوق، الحق في اختيار الفرد لجنسه" ^(٢).

وبالنظر إلى ما يلقاه هذا الحق من مقاومة ورفض، فإن "ميشيل فوكو"، يرى ضرورة النظر إلى هذا الموضوع على أنه عملية تحرر لاتزال تشق طريقها في مختلف المجتمعات وبدرجات مختلفة، وأن ما تحتاج إليه الحركات الجنسية المثلية والنسوية هو إبداع أشكال جديدة من الحياة والعلاقات والصدقات في المجتمع وفي الفن وفي الثقافة، وأنه لا يكفي أن تؤكد هذه الحركات على هويتها، بل تؤكد قوتها الإبداعية" ^(٣).

إن الحركات الجنسية، في نظر "ميشيل فوكو": "ليست مدعوة إلى إبداع ثقافتها الخاصة بل إلى إبداع الثقافة لها صلة بالجنس، وذلك بهدف الابتعاد عن النزعة الماهوية أو الموقف الجوهري للهوية، ومن هنا ضرورة التخلي عن فكرة الفن المثلي أو الرواية الإباحية، لكونهما يقومان على تصور ماهوي للهوية، في حين أن المطلوب هو بناء هوية أو ذات قابلة للتغيير والتحويل والتجميل والإبداع" ^(٤).

(1) **Michel Foucault:** Sexe. Pouvoir et la politique de l'identité. In Dits et écrits tome 4, . Paris. Gallimard, 1994, p.735.

(٢) نشير هنا إلى أن هذه الحرية عند "ميشيل فوكو"، تتخذ في بعض الأحيان أشكالاً لا يمكن للعقل أن يقبلها، ومن هذه الأشكال دعوته إلى الحرية في تناول المخدرات، وذلك بدعوى التمييز بين مخدرات جديّة وأخرى رديئة، وعلى هذا فإن "ميشيل فوكو" لم يبين لنا تلك المعايير التي بها نصف المخدرات إلى جيدة وأخرى رديئة، وإنما اكتفى بالأقرار بالطبع النسبي للقيم، وهو ما يعتبر صفة ملازمة لأخلاق ما بعد الحداثة. **Michel Foucault:** Sexe. Pouvoir et la politique de l'identité. In Dits et écrits tome.p738

(3) **Michel Foucault:** Sexe. Pouvoir et la politique de l'identité. In Dits et écrits tome.p738.

(4) **Michel Foucault:** Sexe. Pouvoir et la politique de l'identité. In Dits et écrits



ويتمثل المظهر الإبداعي في الجنس في تحويل الجسد إلى مصدر لعدد من الرغبات واللذات، وهذا من خلال الدفاع عن الحق في التجريب والاختبار، أو كما قال: "إن الغاية في تجريب واختيار الرغبة وإمكاناتها"^(١).

وبلا شك فإن هذه الدعوة إلى الحرية: "تناسب والسياق التاريخي والثقافي الذي عرفته أوروبا بعد الانتفاضة الطلابية سنة ١٩٦٨ م، لفترة طويلة ظن العديد من الناس أن صرامة القوانين الجنسية، في شكلها الذي نعرفه، كانت لازمة للمجتمعات المسماة "رأسمالية"، في حين أن رفع هذه القوانين وتفكيك المنوعات قد تمت ببسر أكثر مما كنا نتوقع، ومشكلة الأخلاق بوصفها شكلاً وأسلوباً نصبغه على سلوكنا وتصرفنا وحياتنا قد طرح من جديد، وبالجمله لقد أخطأنا في الاعتقاد أن الأخلاق تكمن في المنع، وأن رفع هذه الموانع يحل المسألة الأخلاقية"^(٢).

فهذا النص يشير إلى: مسألة اجتماعية وثقافية متصلة بالحركة الطلابية المعروفة بانتفاضة ١٩٦٨ م، ودفاعها عن الحرية عمومًا والحرية الجنسية على وجه الخصوص، وما أدت إليه من ظهور العديد من الحركات الاجتماعية والثقافية المطالبة بالحرية الجنسية، خصوصًا حركة المثليين والحركات النسوية المختلفة، وفي تقدير "ميشيل فوكو": "فإن ما تحتاج إليه تلك الحركات هو نوع من فن العيش وأسلوب في الحياة أكثر منه إلى علم أو معرفة علمية خاصة بالجنس. وعليه، فإننا لا نستطيع فهم كتابة تاريخ الجنسية خارج السياق الثقافي والسياسي والاجتماعي الغربي عمومًا، والفرنسي على وجه التحديد الذي أعقب أحداث ما يعرف بالانتفاضة الطلابية"^(٣).

وإذا كانت هذه هي علاقة الأخلاق بالحرية، ما الفائدة من تلك الأخلاق

tome.p738.

(1) **Michel Foucault:** Sexe. Pouvoir et la politique de l'identité. In Dits et écrits tome p. 636.

(2) ميشيل فوكو: هاجس الحقيقة في أقوال وكتابات، ص ٦٧٤.

(3) **Michel Foucault:** Le philosophe structuraliste permet de diagnostiquer ce qui est aujourd'hui in Dits et écrits, tome 4, Paris. Gallimard, 1994, p580.



اليونانية الحرة بالنسبة إلى عصرنا خصوصًا إذا علمنا أن "ميشيل فوكو"، أكد في أكثر من سياق ونص، أن ما يعنيه ويهمه هو كتابة تاريخ الحاضر، وأن وظيفة الفلسفة هي تشخيص الحاضر؟".^(١)

لقد قدم "ميشيل فوكو": "أكثر من فكرة تؤكد في مجملها على المنحى العام لفلسفته الذي يرفض فيها تقديم بدائل جاهزة ونماذج مصممة تصميمًا صوريًا، وإنما تشير إلى إمكانات وتحيل إلى علامات ومن هذه العلامات أنه ينهنا إلى أن: "إعادة التفكير في اليونان اليوم تقتضي ألا تجعل من ميدان الأخلاق اليونانية ميدانًا متميزًا، نحن في حاجة إليه لكي نفكر في أحوالنا، ولكي يمكن الفكر الأوروبي للانطلاق من جديد، وذلك انطلاقًا من التجربة اليونانية المعطاة بحيث نكون أحرارًا كلية إزاءها".^(٢)

هذا يعني أن دراسة التراث اليوناني يجب ألا تتحول إلى إقامة قوائم إيجابية وأخرى سلبية، وتميز ما هو نافع عما هو ضار، وإلى ما يجب الأخذ به، وما يجب تركه، ليس الهدف من العودة إلى اليونان تثبيت حدود ولا إقرار برنامج مسبق، بل يجب: " أن ننظر إلى التجربة اليونانية بطريقة واحدة؛ آخذين بعين الاعتبار دائمًا اختلاف السياقات ومبيينين الجزء الذي يمكن إحيائه من هذه التجربة، والجزء الذي يمكن أن نهمله".^(٣)

ولكن السؤال: ما المعيار الذي يجب اعتماده في هذه العملية الانتقالية؟.

والإجابة: لا يقدم "ميشيل فوكو"، جوابًا واضحًا وصريحًا عن هذا السؤال، وإنما تحليلات تؤدي في تقديرنا، دور المؤشر والعلامة لا أكثر ولا أقل.

يؤكد هذا المنحى ما قدمه "ميشيل فوكو": " في موضوع جماليات الوجود أو أسلبة الوجود الذي ميز اليونانيين القدماء، حيث يقول: "إنني أتساءل إن لم تكن مشكلتنا اليوم، بطريقة معينة هي المشكلة نفسها بالنسبة إلى القدماء، فالأغلبية لا تؤمن بتأسيس الأخلاق على الدين، ولا ترغب أيضًا في نظام أخلاقي شرعي يتدخل

(1) Ibid: p580.

(2) Michel Foucault: Le retour de la murale, op cite p702.

(3) Ibid: p702.



في حياتنا الأخلاقية الشخصية والحميمة، إن الحركات التحررية المحدثّة تعاني غياب مبدأ تؤسس، عليه أخلاقاً جديدة، إنها في حاجة الى أخلاق، ولكنها غير قادرة على إيجاد أخلاق غير قائمة على ما يعتبر معرفة علمية لما هي الذات أو الأناء والرغبة، واللاشعور إلخ" ^(١).

من الواضح والبين أن "ميشيل فوكو"، في النص السابق ، يميز بين علم الجنس خاص بالغرب، وبين فن شوقي خاص بالشرق، ولكن يعطيه صبغة عامة متمثلة في فنون الوجود، أو أسلبة الحياة، كما أنه من الواضح أن تاريخ الجنسانية مشروع يستجيب لما يعرف بالحركات الاجتماعية والثقافية التي أعقبت الانتفاضة الطلابية، ولكن هذا لا يعني أن اليونان قد تتحول إلى نموذج أخلاقي، والسبب في ذلك أن المعاصرين على الرغم من حاجتهم إلى الأخلاق فإنهم وفق ما يرى "ميشيل فوكو"، لا يميلون إلى تأسيسها على مبدأ ديني أو فلسفي نظري، وهنا سؤال أساسي ، وهو :هل في تردد "ميشيل فوكو" في تأسيس الأخلاق، وفي الوقت نفسه رفضه الأخلاق بوصفها نظاماً دينياً أو نسقاً فلسفياً، ما يشي بالقول بأخلاق في حدودها الدنيا ؟.

إن طرحنا لهذا السؤال الأساسي مبعثة جملة من الأفكار التي تقرأها عند "ميشيل فوكو"، في تأويله للأخلاق اليونانية .ومن هذه الأفكار رفضه تحويل الأخلاق اليونانية إلى نموذج أخلاقي، وفي ذلك يقول: "لا نجد حلاً لمشكلة في الحل الذي قدم المشكلة مطروحة في حقبة مغايرة من قبل أفراد مغايرين أو مختلفين، إن ما أود القيام به ليس تاريخاً للحلول، بل تاريخاً للمشكلات، أو الأشكلة، لأن البشر يطرحون مشكلات زمانهم ويقدمون حلولاً لها، وفق فهمهم وقدرتهم، وليس هنالك حل صالح لكل زمان ومكان، والحق فإن هذا الطرح يستحق التدبر خصوصاً بالنسبة إلى الفكر العربي الذي أشكل عليه موضوع التراث" ^(٢).

كما يقر بمبدأ منهجي وأخلاقي في الوقت نفسه، وهو: "إن إعمال النظر ؛ أو الفكر لا يعني التنديد بالشر الذي يسكن ضمناً أو سرّياً كل ما هو موجود، وإنما

(١) ميشيل فوكو: حول أنساب الجماليات، ص ٧٠٢.

(٢) المصدر نفسه: ص ٦١٢.



استشعار الخطر الذي يهددنا في كل ما هو عادي أو اعتيادي، وتحويل كل ما هو راسخ إلى إشكالية، تفاؤل الفكر، إذا وجب استعمال هذا اللفظ، هو أن يعرف بأنه لا وجود لعصر ذهبي"^(١).

فمثلاً لا يمكن إنكار أن المجتمع اليوناني كان مجتمعاً ذكورياً، حيث المرأة لا تتمتع بأي حقوق، بل يمكن القول إنها تخضع للقمع، وذلك من جهة أن رغبتها الجنسية لم تكن لها أي أهمية أو اعتبار بالنسبة إلى الرجل اليوناني، وأن حياتها كانت تابعة لولي أمرها، سواء كان في صورة الأب أو الزوج أو الوصي؛ وفي المقابل هنالك اعتراف بالمثلثة عبر عنها أدب يوناني، يعتبر إلى حد كبير أدباً غريباً مقارنة بالثقافات القديمة الأخرى، خصوصاً ما يعرف بأدب الغلمان، ولكن ما يلاحظه في هذا السياق: "هو أن حب الغلمان قد طرح على اليونانيين مشكلة استعصى عليهم حلها، والدليل على ذلك أنه لو لم تكن مشكلة ما تحدثوا عنها، ولتعاملوا معها مثلما تعاملوا مع النساء؛ هذا بالإضافة إلى أن الجنس عند اليونان: "كان يحمل في نظرهم بعد المخاطر، التي لم تصل إلى الحد الذي نظرت إليه المسيحية . ولكن هنالك اهتماماً ببعض مخاطر الجنس، كما أشير إلى ذلك الطبيب اليوناني "أبقراط القوسي ٤٦٠ق.م-٣٧٠ق.م"، الذي كان يدعو إلى عدم ممارسة الجنس في كل وقت، وفي كل فصل، ولكن بالجملة فإن الفعل الجنسي في اليونان كان يمثل فعالية ثم أصبح في المسيحية فعلاً سلبياً"^(٢).

على أن ما يحتسب لليونان في نظر "ميشيل فوكو"، هو تأكيدهم بضرورة السيطرة على الذات، والتحكم في الذات، وقيادة الذات، وأن يجاهد الإنسان نفسه وإلا يصبح عبداً لشهواته ورغباته وأهوائه .

إذن على الإنسان في اليونان أن يكون سيد نفسه، فلا وجود في اليونان لمعنى "المنحرف"، في مقابل "الطبيعي"، كما في الحال في الثقافة الغربية الحديثة، التي حل "ميشيل فوكو"، بعض مظاهرها، خصوصاً ما تعلق بالجنون والمرض والجريمة، وإنما يتعلق الأمر بالإفراط والتفريط أو بالاعتدال، ولقد كان الحكم

(١) ميشيل فوكو: حول أنساب الجماليات، ص ٦١٢.

(٢) المصدر نفسه: ص ٦١٢-٦١٧.



الأخلاقي حول الإفراط أو التفريط يترجم في الحكم بسوء السمعة، وعلى العكس من ذلك. فإن المعتدل يصبح مثلاً يقتدى به ولقد كان التقشف الجنسي ترفاً تمارسه النخبة لكي تشكل حياتها تشكيلاً جميلاً ومكثفاً.

وعلى ما سبق فإن ما يستشف من أخلاق اليونان القديمة هو فن الوجود، أو جماليات الوجود، أسلبة الحياة، أو تحويل الذات إلى أثر فني. تلك هي الفكرة الأساسية التي يمكن استخلاصها من الثقافة القديمة.

وإذا كان القدماء يهدفون إلى حياة جميلة فما الذي نبحت عنه اليوم بالاعتماد على علم الجنس وعلم النفس؟.

يرى "ميشيل فوكو": "أنه لا يجب الربط بين المشكلات الأخلاقية والمعرفة العلمية، وإنما يجب قراءة تراث الإنسانية وما تضمنه من إجراءات وقوانين وقواعد وحكم وأفكار تساعدنا على أن نشكل نظرة وتصوراً يمكن أن يكون مفيداً في تحليل ما يدور حولنا، فليس علينا أن نختار ما بين عالمنا وعالم اليونان، ولكن بما أننا نستطيع ملاحظة أن بعض مبادئ أخلاقنا ترتبط بلحظة معطاة في جماليات الوجود، فإنني أعتقد أن تحليل مثل هذا النوع قد يكون مفيداً ونافعاً لنا"^(١).

وعلى هذا فإن "ميشيل فوكو": "لا يتردد في الدعوة إلى تحويل النفس إلى أثر فني، بل إننا نجده يعترض على فكرة أن يكون الفن موضوعاً للمتخصصين والفنانين، وي طرح تساؤلاً: هو ألا يمكن الحياة كل فرد أن تتحول إلى أثر فني؟. لماذا تتحول اللوحة والمنزل إلى موضوع فني، ولا تتحول حياتنا إلى أثر فني؟"^(٢).

إن الإجابة على هذا الطرح؛ يأتي من طبيعة منهجية "ميشيل فوكو"، وهي الأركيولوجيا الجنولوجيا، والتي نجدها في ثنايا فلسفته الأخلاقية، فنجد لا يتردد في الدعوة إلى تحويل النفس إلى أثر فني، بل إننا نجده يعترض على فكرة أن يكون الفن موضوعاً للمتخصصين والفنانين فقط.

(١) ميشيل فوكو: حول أنساب الجماليات، ص ٦١٢-٦١٧.

(٢) المصدر نفسه: ص ٦١٢-٦١٧.



تعقيب.

١- إن المتأمل لفلسفة "ميشيل فوكو" الأخلاقية، يجده لم يتردد في ربط الأخلاق بمفهوم الحرية الجنسية، وعدم التقيد بأي مبدأ قيمي، فليست الأخلاق عنده إلا ممارسة واعية للحرية الجنسية، والحرية بهذه الصورة "عند ميشيل فوكو"، بمنزلة الشرط الوجودي للأخلاق، ولكن الأخلاق هي الشكل الواعي الذي تتخذه الحرية.

وأستطيع أن أقول: إن أهم قيمة أخلاقية وسياسية دافع عنها "ميشيل فوكو"، هي قيمة الحرية من حيث هي ممارسة، وبما أن الجنس في فلسفة "ميشيل فوكو"، الأخلاقية، يعد جزءاً من حياتنا ومن سلوكنا، وإذا كان الجنس يعد جزءاً من حياتنا ومن سلوكنا فإنه بالتالي يشكل جزءاً من حريتنا التي يجب أن نستمتع بها، مثلما نستمتع بحريتنا في الإبداع، فالجنسانية في فلسفة "ميشيل فوكو"، شيء نبذعه بأنفسنا، إنه إبداعنا وعلينا أن نفهم أنه مع رغباتنا، ومن خلالها تؤسس أشكال جديدة من العلاقات، وأشكال جديدة من الحب والإبداع، إن الجنس ليس قدراً محتوماً وإنما هو إمكانية لبلوغ حياة مبدعة؛ فهذه دعوة إلى الإباحية الجنسية التي ترفضها الأخلاق بجميع صورها كما ترفضها جميع الأديان.

إن دعوة "ميشيل فوكو"، بالحق في الحرية الجنسية كجزء من الحقوق المدنية، وأن يكون على رأس هذه الحقوق، الحق في اختيار الفرد لجنسه، وبالنظر إلى ما يلقيه هذا الحق من مقاومة ورفض، فإن "ميشيل فوكو"، يرى ضرورة النظر إلى هذا الموضوع على أنه عملية تحرر لاتزال تشق طريقها في مختلف المجتمعات وبدرجات مختلفة، وأن ما تحتاج إليه الحركات الجنسية المثلية والنسوية هو إبداع أشكال جديدة من الحياة والعلاقات وال صداقات في المجتمع وفي الفن وفي الثقافة، وأنه لا يكفي أن تؤكد هذه الحركات على هويتها، بل تؤكد قوتها الإبداعية. وهذا الذي يظنه نوع من التحرر هو نوع من الفضيوة التي تهبط بالإنسان إلى مرتبة أقل من درجة الحيوان.

٢- إن الجنس الذي يقصده "ميشيل فوكو"، في دراسته لا يمت بأي صلة للطبيعة أو الجانب البيولوجي للإنسان، بل هو يرمي في الحقيقة إلى معرفة الخلفية



التاريخية و الثقافية، التي تضيف على الظاهرة الجنسية معانيها ودلالاتها، و التي لا تبرز إلا في علاقاتها بالقانون و النصوص التشريعية المنظمة و المراقبة للنشاط الجنسي، وانطلاقاً من هذا أسس ما يعرف بعلم الجنس الذي كان نتيجة حتمية لدعوة القرن الثامن عشر من خلال الأعراف و القوانين، للتعامل مع الجنس في شكل معرفة أو خبرة علمية، ومن هنا يبدأ في ظهور علم للجنس، يعتمد بصفة أساسية على استجواب ألوان من الشذوذ، والانحرافات، التي تبرزها الظاهرة الجنسية كظاهرة طبيعية.

٣- إن "ميشيل فوكو"، يؤكد في فلسفته على التحرر من القيم الأخلاقية، وفصلها عن الدين، بقوله: فالأغلبية لا تؤمن بتأسيس الأخلاق على الدين، ولا ترغب أيضاً في نظام أخلاقي شرعي يتدخل في حياتنا الأخلاقية الشخصية والحميمة، إن الحركات التحررية المحدثّة تعاني غياب مبدأ تؤسس، عليه أخلاقاً جديدة، إنها في حاجة إلى أخلاق، ولكنها غير قادرة على ايجاد أخلاق غير قائمة على ما يعتبر معرفة علمية لما هي الذات أو الأنا والرضا، واللاشعور .

إن فصل الأخلاق عن الدين؛ يجعلها تفقد معناها وتصبح أخلاقاً عدمية لا وجود لها في الواقع لأن الدين هو الذي يجعل الأخلاق تسير في الطريق الصحيح، كما أن قوله بفصل الأخلاق عن الدين موافقاً لمنهجه الأركيولوجي الجنيولوجي العدمي.

٤- إن فلسفة "ميشيل فوكو" تنفي أي وجود حقيقة أخلاقية فهي فلسفة عدمية، وإذا كانت فلسفة الأخلاق عند "ميشيل فوكو"، فلسفة عدمية، فإنها تتصل أيضاً بالميراث "الكانطي" وبتأويل معين للفلسفة النقدية "الكانطية".

٥- إن "ميشيل فوكو"، يدعي في فلسفته أنه لا يمكن فهم الجنس بوصفه تعبيراً عن حضور الذات خارج السلطة، بما هي مجموعة من علاقات القوة، وذلك في مقابل بنية سياسية كالدولة أو الحكومة أو طبقة اجتماعية مهيمنة أو السيد مقابل العبد، فيقول: "إن علاقات السلطة تخترق العلاقات الإنسانية مهما كانت، سواء تعلق الأمر بالمحادثة، أو بممارسة الجنس، أو بالمؤسسات، فإن السلطة حاضرة دائماً في نسيج العلاقات الإنسانية، وهي محاولة دائمة لقيادة الآخرين، وإذا كانت علاقات السلطة تتميز بطابعها المتحرك والمتغير، بما أنها



تنشر على الجسد الاجتماعي كله ، فإن أهم ما يميزها على الإطلاق، في نظر "ميشيل فوكو"، هو الحرية، فلا وجود لعلاقات السلطة في غياب الحرية، إن الحرية شرط لممارسة السلطة، وأن ممارسة السلطة تقتضي حدًا أدنى من الحرية عند الطرفين، وإلا انتفت عملية السلطة، وهذا يعني أن علاقات السلطة تتضمن دائماً إمكانية المقاومة، ومع أن القول بأن السلطة توجد في كل مكان يفيد غياب الحرية.

وأستطيع أن أقول إن "ميشيل فوكو"، لا يهتم بالقيم الأخلاقية، التي تعطي للمجتمع رفعة ومكانة تتفق مع دينه وإنسانيته، بل كل ما يهمه، هو دعوته إلى تحرر الذات من القيود عليها، خاصة في فعل الرذائل الجنسية، فنجد أنه على الأصدقاء اختيار من تناسبه من الصديقات، وكذلك على الصديقات اختيار من يناسبها من الأصدقاء، فيقول: أما في حالة العلاقة مع الغلمان، فإنه يتعين على أخلاقية الذات أن تستخدم من خلال فروقات عمرية، واستراتيجيات دقيقة عليها أن تأخذ في الاعتبار حرية الآخر، وقدرته على الرفض ورضاه الضروري.

ومما يلاحظ هنا: أن هذه العلاقة طرحت على الفكر الفلسفي اليوناني، مسألة حقيقة الحب، فعلى عكس الزواج الذي تنحصر مهمته في الإنجاب، فإن الممارسة الجنسية مع الغلام تطرح مشكلة الحب المتبادل، كما تطرح مشكلة أخرى هي المكانة الاجتماعية للغلام، أو ما اصطلح عليه بشرف الغلام.

وعلى هذا فإن "ميشيل فوكو"، يريد أن يجعل من الشذوذ قاعدة أخلاقية طبيعية؛ وهو بذلك يخالف كل أصحاب الفطر السليمة التي ترفض تماماً هذا النوع من الارتباط المثلي الذي يؤدي بالإنسان إلى الوقوع في مهاوي الرذيلة.

فهذه العلاقة أو المؤسسة قد تبدو مخالفة للطبيعة التي يتصف بها هذا الحب؛ فمن جهة يعتبر من الثوابت أن الميل الذي يشد نحو الغلمان هو ميل طبيعي، شأنه شأن كل ميل يجذب إلى ما هو جميل، ومع ذلك ليس من النادر التأكيد بأن العلاقة بين رجلين أو بصورة أعم ، فردين من جنس واحد هي علاقة مخالفة للطبيعة

وهذا ما يسميه "ميشيل فوكو": "بتناقض الغلام في الأخلاق اليونانية ، ويتمثل هذا خاصة في العلاقة التي عليه أن يقيمها مع نفسه ، كي يصبح رجلاً حراً سيد نفسه، وقادراً على التغلب على الآخرين، لا يمكن أن تتوافق مع نوع من العلاقات يكون فيه موضوع لذة للغير.

٦- إننا لا نجد في فلسفة "ميشيل فوكو"، الأخلاقية، ما يستدعي البعد عن الرذائل، حتى في تبريره للعلاقات الجنسية، كان حله الوحيد لغير الزواج هو الصداقة المحلاة بالحب، فالحل الوحيد الذي طرحه "ميشيل فوكو"، لهذه المشكلة الأخلاقية هو علاقة الصداقة والحب فيقول: "لا يمكن أن يكون حب الغلمان مشرفاً أخلاقياً إلا إذا اشتمل بفضل نعم العاشق المعقولة، وبفضل مسايرة المحبوب المتحفظة على العناصر التي تشكل أسس تحول هذا الحب إلى علاقة نهائية وقيمة اجتماعيا ، هي علاقة الصداقة.

لكن هل ما قدمه "ميشيل فوكو"، في فلسفته عن القيم الأخلاقية يتفق مع الدين أم يتعارض؟. هذا ما سيكون الحديث عنه في المبحث القادم.



المبحث الثالث

فلسفة "ميشيل فوكو" الأخلاقية في ميزان الأديان

في البداية لا أستطيع أن أقوم في هذا المبحث بدراسة مستفيضة عن موقف جميع الأديان من فلسفة "ميشيل فوكو" الأخلاقية، ولكن سأقتصر الحديث على الدين القائم عند "ميشيل فوكو"، وهو الدين المسيحي، والدين الإسلامي الذي أدين به.

أولاً: موقف المسيحية من القيم الأخلاقية عند "ميشيل فوكو".

لقد دعا الدين المسيحي إلى القيم الأخلاقية، والحث على الفضائل، والبعد عن الرذائل، فقد تحدث الإنجيل: "عن علاقة الإنسان مع أفراد المجتمع، ابتداءً بالأسرة، حيث نظم علاقته مع والديه، وأقاربه، وزوجته، وأبنائه، وغير ذلك" ^(١).

فتعاليم "عيسى عليه السلام" الأخلاقية: "تخاطب الإنسان بالواجب المثالي الذي عليه أن يعمل ويتعامل به تجاه غير" ^(٢). فالإنسان في الإنجيل هو المسؤول الأول عن أعماله وأفعاله، فهو حر في أخلاقيته إلا أنه مرتبطة بالدين، لا كما قال "ميشيل فوكو"، في واحد من حواراته الأخيرة: "الاهتمام بالنفس بوصفة ممارسة للحرية ليست الأخلاق إلا ممارسة واعية للحرية" ^(٣). فالمسيحية تؤكد على حرية الفرد إلا أن هذه الحرية تتقيد بالمسؤولية الدينية لأن: "الذي يزرعه الإنسان إياه يحصد أيضاً" ^(٤).

ولقد دعا "عيسى عليه السلام" في الإنجيل إلى العديد من الأخلاق والمبادئ التي تحفظ للإنسان علاقته مع الآخرين، فقال: "فَأَحِبُّوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا مِنْ قَلْبٍ طَاهِرٍ بِشِدَّةٍ" ^(٥). فاشتراط الإنجيل أن تكون المحبة طاهرة، وليست كما يدعي "ميشل فوكو"، بأنها حلاً لممارسة الرذائل.

(١) د. فايز فارس: علم الأخلاق المسيحية، نشر دار الثقافة، القاهرة، دت، ج ١، ص ٦١

(٢) المصدر نفسه: ص ٦١

(٣) ميشيل فوكو: أخلاقيات هاجس الذات كممارسة للحرية، ص ٧١.

(٤) رسالة بولس أهل غلاطية: ٦، ٧.

(٥) رسالة بطرس الأولى: ١، ٢٢.



وجاء في الإنجيل: "إِنَّ مَنْ يَحِبُّ اللَّهَ يَحِبُّ أَخَاهُ أَيْضًا" ^(١). وقال: "لتكن محبتكم بعضكم لبعض شديدة؛ لأنَّ المحبة تستر كثرة من الخطايا" ^(٢).

كما وردت ألفاظ مرادفة لمصطلح الأخلاق في الإنجيل، مثل: "الفضيلة، وهي من الفضل، وتعني: الإحسان والابتداء به بلا علة له، والفضيلة خلاف النقيصة والرذيلة، فهي الدرجة الرفيعة في حسن الخلق" ^(٣).

ولقد ذكر الإنجيل مصطلح "الفضيلة" بمعنى الأعمال الصالحة، والأخلاق الحسنة في أربعة مواضع، ففي "رسالة بولس إلى أهل فيليبي" قال: "أخيراً أيها الإخوة كل ما هو حق، كل ما هو جليل، كل ما هو عادل، كل ما هو طاهر، كل ما هو مسر، كل ما صيته حسن، إن كانت فضيلة وإن كان مدح، ففي هذه افتكروا" ^(٤). وفي "رسالة بطرس الرسول الأولى" حيث قال: "لكي تخبروا بفضائل الذي دعاكم من الظلمة إلى نوره العجيب" ^(٥). وفي "رسالة بطرس الرسول الثانية" عندما قال: "كما أن قدرته الإلهية قد وهبت لنا كل ما هو للحياة والتقوى، بمعرفة الذي دعانا بالمجد والفضيلة" ^(٦). وكذلك في موضع آخر من "رسالة بطرس الرسول الثانية"، فيقول: "قدموا في إيمانكم فضيلة، وفي الفضيلة معرفة" ^(٧).

ويركّز الإنجيل في الجانب الأخلاقي على نقاء القلب؛ وذلك لأنه: "هو المعبر عن حالة الإنسان النهائية إن كان صالحاً أو شريراً" ^(٨). وهذا ما ورد في "إنجيل لوقا"، حيث قال: "الإنسان الصالح من كنز قلبه الصالح يخرج الصلاح، والإنسان

(١) رسالة يوحنا الرسول الأولى: ٤، ٢١.

(٢) رسالة بطرس الأولى: ٤، ٨.

(٣) وليم وهبه بباوي، و منيس عبد النور و فايز فارس و أندريه ذكي و أنور ذكي: دائرة المعارف الكتابية، نشر دار الثقافة، القاهرة، ط٢، ج٦، ص٦١.

(٤) رسالة بولس الرسول إلى أهل فيليبي: ٤، ٨.

(٥) رسالة بطرس الأولى: ٢، ٩.

(٦) رسالة بطرس الثانية: ١، ٣.

(٧) رسالة بطرس الثانية: ١، ٥.

(٨) الأنبا ياكوبوس: التدبير الداخلي في الحياة الروحية، سلسلة البناء الروحي للفرد المسيحي، نشر كاتدرائية السيدة العذراء وماريوحنا الرسول بالزقازيق، مصر، ط١، يناير ٢٠٠٢م، ص١١٧.



الشرير من كنز قلبه الشرير يخرج الشر" ^(١).

وبهذا نجد أن الفضائل في الإنجيل عبارة عن قوة في النفس تمكّنها من الانتصار على كلّ نوازع الشر والاتصاف بالسلوك الحسن القويم، والأخلاق الحسنة، وليس كما يدعي "ميشيل فوكو"، في فلسفته الأخلاقية.

وإذا كان "ميشيل فوكو"، يرى أن الأخلاق تنفك عن الدين، ويكون الذات حرة طليقة، لا تتقيد إلا بالسلطة، فإن الدين المسيحي يؤكد على: "أن الأخلاق والمبادئ لا تنفك عن الدين، فهي تظهر بصور مختلفة، ولغات مختلفة، فكونها تُقدّم بلغة دينية، فذلك لا يُجردها من أية قيمة في النقاش العام، فيقول: "في الواقع، سيكون من السذاجة بمكان الاعتقاد بأن المبادئ الأخلاقية تطرح نفسها بصورة مجردة تمامًا، ومنفصلة عن أي سياق، فكونها تُقدّم بلغة دينية، فذلك لا يُجردها من أية قيمة في النقاش العام، إن بإمكان المبادئ الأخلاقية التي يستطيع العقل إدراكها أن تظهر باستمرار تحت صيغٍ أخرى، ويُعبّر عنها بلغات مختلفة، بما في ذلك الدينية" ^(٢).

إن الدين المسيحي يؤكد على أن الناس بعضها لبعض، متمسكين بأخلاقهم: يقضون احتياجاتهم بعضهم لبعض صالحين، متمسكين بالأخلاق والقيم، وأنه لا سبيل غير ذلك: "ينبغي أن نشعر مجددًا بأننا بحاجة بعضنا إلى بعض، وأنه تقع علينا مسؤولية تجاه الآخرين وتجاه العالم، وأنه أمر يستحقّ العناء أن نكون صالحين وصادقين، لقد عرفنا حقًا التدهور الأخلاقي لمدة طويلة، مستهزئين بالأخلاقيات، وبالصلاح، وبالإيمان، وبالصدق، وقد حانت الساعة لنذكر أن هذه الفرحة السطحية لم تخدمنا كثيرًا" ^(٣).

فأساس المسؤولية الأخلاقية: "تستلزم أن الإنسان يقدر أن يعمل ما يختاره سواء خيرًا كان أو شرًا" ^(٤).

(١) إنجيل لوقا: ٦، ٤٥. إنجيل متى: ١٢، ٣٢.

(٢) البابا فرنسيس: رسالة عامة بابوية كُنْ مُسَبِّحًا حول العناية بالبيت المشترك، منشورات موقع الفاتيكان، ٢٠١٩م، ص ٤٣.

(٣) البابا فرنسيس: رسالة عامة بابوية كُنْ مُسَبِّحًا حول العناية بالبيت المشترك، منشورات موقع الفاتيكان، ٢٠١٩م، ص ٤٩.

(٤) جيمس أنس: علم اللاهوت النظامي، تحقيق، منيس عبد النور، نشر الكنيسة الإنجيلية، القاهرة،

والأخلاق لها مكانة عظيمة في المسيحية، فهي ترسم صورة الشخص الذي يمكن اعتباره طوباً وطوباً، صالحاً وصادقاً، طوبى للودعاء: "طُوبَى لِلَّذِينَ يَصْنَعُونَ وَصَايَاهُ لِكَيْ يَكُونَ سُلْطَانُهُمْ عَلَى شَجَرَةِ الْحَيَاةِ، وَيَدْخُلُوا مِنَ الْأَبْوَابِ إِلَى الْمَدِينَةِ، لِأَنَّ خَارِجًا الْكِلَابَ وَالسَّحَرَةَ وَالزُّنَاةَ وَالْقَتْلَةَ وَعَبَدَةَ الْأَوْثَانِ، وَكُلَّ مَنْ يُحِبُّ وَيَصْنَعُ كَذِبًا"^(١).

فهذه النصوص تدعو إلى التحلي بمكارم الأخلاق، وليس كما يدعي "ميشيل فوكو"، في فلسفته الأخلاقية، من التحرر وفعل الرذائل تحت مسمى الحرية للذات، وذلك لأن التفكك الأسري يؤثر على نقل القيم والأخلاق بين البشرية: "فالتفكك الأسري ... يؤثر على نقل القيم، لأن الأسرة كانت وما زالت دائماً المؤسسة الاجتماعية التي ساهمت أكثر من غيرها في الحفاظ على ثقافتنا"^(٢).

إن المسيحية تدعو إلى التحلي بالقيم الأخلاقية التي تعزز الأفراد والمجتمعات: "دعونا نعود إلى تعزيز الخير، من أجل أنفسنا ومن أجل البشرية جمعاء، فنسير بالتالي معاً نحو نمو حقيقي وشامل، فكل مجتمع يحتاج إلى ضمان انتقال القيم، لأنه إذا لم تُنقل القيم، فسوف تُنقل الأنانية والعنف والفساد بأشكاله المختلفة، واللامبالاة، وفي نهاية المطاف تُنقل حياة مغلقة أمام كل سمو، ومسيجة بالمصالح الفردية"^(٣).

لقد أدى البعد عن الله والانغماس في العالم الافتراضي والانفصال الأسري: "انفصالاً عن القيم الثقافية والدينية"^(٤).

د.ت، ص ٩٣.

(١) سفر رؤيا يوحنا اللاهوتي: ١٤: ٢٢-١٥.

(٢) البابا فرنسيس: الإرشاد الرسولي ما بعد السينودس الأمازون الحبيب من الأب الأقدس فرنسيس إلى شعب الله وإلى جميع الأشخاص ذوي الإرادة الطيبة، نشر أوسيرفاتوري رومانو، الطبعة الإيطالية، منشورات موقع الفاتيكان، ٢١ يناير، كانون الثاني، ٢٠١٨، ص ٣، ص ٦.

(٣) البابا فرنسيس: الإرشاد الرسولي ما بعد السينودس الأمازون الحبيب من الأب الأقدس فرنسيس إلى شعب الله وإلى جميع الأشخاص ذوي الإرادة الطيبة، ص ٢١.

(٤) البابا فرنسيس: من قداسة البابا فرنسيس إلى الشبيبة وإلى كل شعب الله، لوريتو، قرب البيت المقدس، منشورات موقع الفاتيكان، ٢٥ مارس/آذار ٢٠١٩م، ص ١٣.



وعلى هذا فإن مشروع "ميشيل فوكو"، الأخلاقي مخالف لما عليه الديانة المسيحية وما جاءت به.

ثانياً: موقف الإسلام من القيم الأخلاقية عند "ميشيل فوكو".

من الحقائق التي اتفق عليها العقلاء، أن الرسل الكرام الذين أرسلهم خالقهم عز وجل إلى الناس، جاءوا جميعاً برسالة واحدة في أصولها وفي جوهرها، ألا وهي: إخلاص العبادة لله الواحد القهار، وغرس مكارم الأخلاق في النفوس، والدليل على ذلك أن كل نبي بعثه الله تعالى، إلى قومه، كانت الكلمة الأولى التي يقولها لقومه يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَقَوَّمُ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنِّ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ (الأعراف: ٥٩). يقول "القرطبي ت٦٧١هـ": "فنوح أول الرسل إلى الأرض بعد آدم عليهما السلام" ^(١). ﴿فَقَالَ يَتَقَوَّمُ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنِّ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ "أي ما لكم من إله إلا الله" ^(٢).

يقول "ابن كثير ت٧٧٤هـ": "شرع تعالى في ذكر قصص الأنبياء، عليهم السلام، الأول فالأول، فابتدأ بذكر نوح، عليه السلام، فإنه أول رسول إلى أهل الأرض بعد آدم، عليه السلام" ^(٣).

وقال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَتَقَوَّمُ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنِّ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ (الأعراف: ٦٥). وقال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَتَقَوَّمُ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنِّ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ (الأعراف: ٧٣). وقال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ

(١) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، تحقيق، هشام سمير البخاري، نشر دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣م، ج٧، ص٢٣٢.

(٢) المصدر نفسه: ج٧، ص٢٣٣.

(٣) أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير: تفسير القرآن العظيم، تحقيق، سامي بن محمد سلامة، نشر دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م، ج٣، ص٤٣١.



يَقَوْمُ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴿١٨٥﴾ (الأعراف: ١٨٥). وقد أجمل القرآن الكريم هذا المعنى في آيات كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ (الأنبياء: ٢٥).

وكذلك كل نبي بعثه الله تعالى إلى قومه، كانت الكلمة الثانية التي يقولها لقومه: هي الدعوة إلى التحلي بالفضائل، والتخلي عن الرذائل، والتحلي بمكارم الأخلاق والتخلي عن قبائحها، فهذا نبي الله "شعيب عليه السلام" يقول لقومه كما قال الله تعالى: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُ شُعَيْبًا قَالَ يَنْقَوْمُ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا نَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أُرْسِلُكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ تُحْطَرُ فِيهِ يَنْقَوْمُ أَوْفُوا بِالْمِكْيَالِ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ (هود: ٨٤ - ٨٥). فأنت ترى أن نبي الله شعيباً عليه السلام، بعد أن أمر قومه بإخلاص العبادة لله تعالى، نهاهم عن التطفيف في المكيال والميزان، وبين لهم العاقبة السيئة التي تترتب على هذه الأخلاق القبيحة.

كذلك الحال مع نبي الله هود عليه السلام، فقد دعا قومه بعد عبادة الله تعالى وحده إلى التحلي بمكارم الأخلاق، حيث كانوا قومًا مكابرين متطاولين، قال تعالى: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَلَّذِي أَمَّاكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ أَمَّاكُمْ بِأَنَعَمِ وَبَيْنَ وَحْنَتٍ وَعَيْنٍ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (الشعراء: ١٢٨ - ١٣٥).

فهذه الآيات الكريمة تدل دلالة واضحة على أن الرسل عليهم الصلاة والسلام، قد دعوا أقوامهم إلى إخلاص العبادة لله تعالى، وإلى اعتناق مكارم الأخلاق.

وعند التأمل في حديث القرآن الكريم عن النبي محمد ﷺ، تجد آيات حافلة بالثناء عليه، وتعظيم شأنه، وحث الناس على اقتفاء أثره، ومن جملة الآيات الكريمات التي عظم الله فيها مقام نبيه عليه الصلاة والسلام، قوله سبحانه



وتعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم: ٤). يقول "القرطبي": "على خلق، على دين عظيم من الأديان" (١).

لقد بين القرآن العظيم أن هذا النبي محمداً ﷺ، قد صار خلقه متفقاً مع ما تنزلت به الآيات القرآنية، فخلقه صار سجيةً له بحسب ما تنزل به القرآن العظيم، فهو لا يجاوزه ولا يتعداه، ولا ينقص عما أمره الله به، ثم إن الله جل وعلا أثنى أيضاً على هذا النبي الكريم في آيات أخر؛ كما في قوله سبحانه: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (الأحزاب: ٢١). فبين الله جل وعلا أن هذا النبي الكريم هو الأسوة الحسنة والقُدوة الشريفة العظيمة التي ينبغي أن يتأسى بها أفراد الأمة جميعاً.

فهذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسى برسول الله ﷺ، في أقواله وأفعاله وأحواله؛ ولهذا أمر الناس بالتأسى بالنبي في صبره ومصابرته، وانتظاره الفرج من ربه عز وجل " (٢).

إن القرآن الكريم يرسخ في النفس الإنسانية مكارم الأخلاق، كما دعى إلى استهجان تلك الإباحية الجنسية الشاذة التي أكد عليها الفيلسوف الفرنسي "ميشيل فوكو"، لأن هذه الإباحية تتعارض مع الطبيعة الإنسانية؛ ولذلك فإن الله تعالى خاطب قوم نبي الله لوط عليه السلام، فقال تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ بُصُورٌ أَيْنَكُمْ لِتَاتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ بِجَهْلُوْت أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ بُصُورٌ أَيْنَكُمْ لِتَاتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ بِجَهْلُوْت أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ بُصُورٌ أَيْنَكُمْ لِتَاتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ بِجَهْلُوْت

﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوْهُ أَلْ لُّوْطُ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنْأَسُ يَنْظَهُرُونَ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرَأَتَهُ قَدَرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِ﴾ (النمل: ٥٤ - ٥٧).

(١) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج ١٨، ص ٢٢٧.

(٢) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج ٦، ص ٣٩١.

وقال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِئَ بِهِمْ وَصَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَتَقَوَّرُ هَؤُلَاءِ بِنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تَخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَنَعْلَمُ مَا نُرِيدُ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوَى إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ (هود: ٧٦ - ٨٠).

كما أن القرآن الكريم قد بين لنا عقوبة هؤلاء المفسدين حيث أمر الله تعالى ملائكته بأن يدمروا عليهم قراهم وبيوتهم بأن يجعلوا عاليها سافلها عليهم ليكونوا عبرة لمن سار على نهجهم.

قال تعالى: ﴿قَالُوا يَلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصْلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرَ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْنَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَانِكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَابًا مِّن سِجِّيلٍ مَّنْضُودٍ مُّسَوَّمَةٍ عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ (هود: ٧٦ - ٨٣).

إن الدين الإسلامي يدعو إلى اجتناب الرذائل، وأنه لا سبيل لحماية الذات إلا عن طريق الزواج، وهنا تظهر ضرورة الأسرة: "كناوة لا غنى عنها للمجتمع وللبرية، لإنجاب الأبناء وتربيتهم وتعليمهم وتحسينهم بالأخلاق وبالرعاية الأسرية، فمهاجمة المؤسسة الأسرية والتقليل منها والتشكيك في أهميتها دورها هو من أخطر أمراض عصرنا" ^(١).

ومن الآيات الشاملة لمكارم الأخلاق والنهي عن الرذائل كما في قول الله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ قَوَامًا وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ قَوَامًا وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ قَوَامًا

(١) د. أحمد الطيب شيخ الأزهر- البابا فرنسيس بابا الفاتيكان: وثيقة الأخوة الإنسانية من أجل السلام العالمي والعيش المشترك، ص ٢٠١.



بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا ذُرِّيَّتًا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْ لَنَا لِمُنْفِقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ (الفرقان: ٦٣ - ٧٤).

فقد حَرَّمَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ كِبَائِرَ الْإِثْمِ، وَالْفَوَاحِشَ كَالزُّنَا، وَمَا سِوَى ذَلِكَ مِمَّا حَرَّمَهُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ مِنْ تِلْكَ الْفَوَاحِشِ الَّتِي تَتَعَلَّقُ بِالْأَبْدَانِ ظَاهِرًا، وَحَرَّمَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ الْقَتْلَ، وشهادة الزور.

بل إن هناك عدة أحاديث تدل دلالة واضحة على القيم الأخلاقية، ونشر الفضائل بين البشرية جمعاء منها: عن عبد الله بن عمرو قال: "لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَاحِشًا وَلَا مُتَفَحِّشًا، وَإِنَّهُ كَانَ يَقُولُ: إِنَّ خِيَارَكُمْ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا"^(١).

ومن القيم الأخلاقية التي أجمعت عليها الشرائع السماوية كلها: العدل، والحرية، والتسامح، والوفاء بالعهد، وأداء الأمانة، والصدق في الأقوال والأفعال، والكلمة الطيبة، وذلك لأن مصدر التشريع السماوي واحد، ولهذا قال النبي المصطفى ﷺ: "الْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ؛ أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ"^(٢).

بل إن جميع الشرائع السماوية قد اتفقت وأجمعت على تقدير القيم الإنسانية السامية، ونبذ الأخلاق الذميمة، فمن خرج على ما أجمعت عليه الشرائع فإنه لم يخرج على مقتضى الأديان فحسب، وإنما يخرج على مقتضى الإنسانية، وينسلخ من آدميته.

(١) صحيح البخاري، ج٤، كتاب الأدب، باب حسن الخلق والسخاء وما يكره من البخل، حديث رقم ٥٦٨٨، ص ٢٢٤٥.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه حديث رقم ٤٣٢٤، واللفظ لأبي داود. وأحمد في مسنده ٩٦٣٠ والحديث أسانيده صحيحة.



فالأديان كلها أتت من أجل خير الإنسان وسعادة البشرية في العاجل والآجل، والقيم الدينية في كل حضارة كانت هي الأساس للقيم الأخلاقية السامية والمبادئ الإنسانية الرفيعة، والحضارات التي لا تعنى بالقيم والأخلاق تحمل عوامل سقوطها مع لبنات بنائها.

وتعتبر الأخلاق العنصر الرئيس الثابت في كل الأديان السماوية بلا استثناء، ومن المعروف أن الشرائع السماوية تختلف بين الأديان، وأن اللاحق منها قد ينسخ السابق؛ وذلك حتى تتناسب كل شريعة مع العصر والبيئة التي يبعث فيها الرسول أو النبي، وبحيث تتلاءم مع حالة الناس ونظمهم المختلفة وطرائقهم في الحياة: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شَرْعَةً وَمَنْهَاجًا﴾ (المائدة: ٤٨)، ولكن أصول العقيدة وأصول الأخلاق لا تتبدل ولا تتغير بين الأديان الإلهية؛ فما أمر به الإسلام من أمهات الفضائل وما نهى عنه من الرذائل هو نفسه ما أمرت به ونهت عنه رسالات إبراهيم وموسى وعيسى وإخوانهم المرسلين، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين^(١).

قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا نَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾ (الشورى: ١٣).

فرسالة الإسلام في جملتها ما جاءت إلا لتحقيق مكارم الأخلاق المتضمنة في شرع الله سبحانه وتعالى، يقول النبي ﷺ: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"^(٢).

فالأخلاق في الأديان السابقة هي نفس ما أمر به الإسلام، فالدين الإسلامي ليس ديناً منفصلاً عن الأديان السماوية السابقة عليه؛ كاليهودية والمسيحية نؤمن - نحن المسلمين - بأن الإسلام ليس ديناً منفصلاً عن الأديان السماوية السابقة عليه؛ بل يعلمنا القرآن أن الدين الإلهي دين واحد اسمه الإسلام؛ بمعنى الخضوع لله تعالى وعبادته، وإسلام الوجه إليه، وأن ما يسمى بالأديان في محادثاتنا هو:

(١) د. أحمد الطيب: مقومات الإسلام، ص ٢٦٣.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده حديث رقم (٨٩٥٢)، والبخاري في "الأدب المفرد" (٢٧٣) من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه.



رسالات إلهية تشكل حلقات متصلة في سلسلة الدين الواحد" ^(١).

فالأخلاق لها مكانة عظيمة في الإسلام يقول النبي محمد ﷺ: "ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن" ^(٢). وأقرب الناس مجلساً من الرسول ﷺ يوم القيامة وأحبهم إلى قلبه الشريف صاحب الخلق الحسن: "إن من أحبكم إلى أحسنكم أخلاقاً" ^(٣).

إذن من خلال ما سبق اتضح لنا عدة جوانب من القيم الأخلاقية في الديانتين المسيحية والإسلام، حيث بينت كليهما، أن الإنسان لابد وأن يتصف بالقيم الأخلاقية، التي أمرت بها الشرائع السماوية، وأن الإنسان حر في أخلاقياته، إلا أنه لابد وأن تنبع الأخلاق من الدين، فالدين هو السيد على هذه الأفعال، وليس كما يدعي "ميشيل فوكو"، من أن الذات الإنسانية حرة في أخلاقيتها ولا سيد عليها إلا السلطة؛ صحيح أن تكون هناك سلطة يحتمي الفرد تحت مظلتها وسقفها، وفق قوانين ثابتة تحمي الفرد من اعتداء الآخرين عليه، إلا أن الدين هو الأساس الأول في ضبط هذه الأخلاقيات.

(١) د. أحمد الطيب: السلام أولاً، ص ١٣-١٤.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه في الأدب المفرد (٢٧٠، ٤٦٤) وأبو داود (٤٧٩٩) والترمذي (٢٠٠٢) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، في الأدب المفرد (٣٧٥٩) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه.

خاتمة البحث

وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات

الحمدُ لله ربِّ العالمينَ، والصلاةُ والسلامُ على سيدنا محمدٍ ﷺ وعلى آلِ بيتهِ الطيبينَ الطاهرينَ، وصحبه ومن سار على نهجه إلى يوم الدين.

وبَعْدُ؛ فقد توصلنا بعد الدّراسة والبحث إلى جملة من النتائج، والتوصيات تتمثّل أهمّها في النّقاط الآتية:

أولاً: أهم نتائج البحث.

(١) إذا كانت فلسفة الحداثة أو تيارات البنيوية والسيميائية تبحث عن النظام والانسجام، وتهدف إلى توحيد النصوص والخطابات، وتجميعها في بنيات كونية، وتجريدها في قواعد صورية عامة، من أجل خلق الانسجام والتشاكل، وتحقيق الكلية والعضوية الكونية، فإن فلسفات ما بعد الحداثة هي ضد النظام والانسجام، بل هي تعارض فكرة الكلية. وفي المقابل، تدعو إلى التعددية والاختلاف والانظام، وتفكيك ما هو منظم ومتعارف عليه.

(٢) إذا كانت البنيوية الحداثيّة قد آمنت بفلسفة البنية والانغلاق الداخلي وعدم الانفتاح على المعنى، والسياق الخارجي والمرجعي، فإن ما بعد الحداثة قد اتخذت لنفسها الانفتاح وسيلة للتفاعل والتفاهم والتعايش والتسامح، ويعد التناص آلية لهذا الانفتاح؛ كما أن الاهتمام بالسياق الخارجي هو دليل آخر على هذا الانفتاح الإيجابي التعددي.

(٣) إن تيار ما بعد الحداثة يهدف إلى تقويض الفكر الإنساني، وذلك عن طريق التشكيك والتأجيل والتفكيك، واستعمال لغة الاختلاف والتضاد والتناقض، والتشكيك في المعارف اليقينية.

(٤) إن المتأمل لفلسفة "ميشيل فوكو"، الأخلاقية سيجدها فلسفة عدمية وفوضوية، تقوم على تغييب المعنى، وتقويض العقل والمنطق والنظام والانسجام. ولا تقدم بدائل عملية واقعية، بل هي فلسفة عبثية لا معقولة، تنشر اليأس والشكوى والفوضى في المجتمع.



(٥) التأكيد على حقيقة هامة مشتركة بين رواد ما بعد الحداثة ومنهم "ميشيل فوكو"، هي تفتيت الفلسفة الغربية، والعمل على تفكيكها؛ ومن ثم إمكانية الخروج منها، والسعي الحديث الذي يقترح الإصغاء إلى المتعدد في الواحد، أو إلغاء الثنائيات المتضادة بين الأفعال البناء/الهدامة، (الذات/الموضوع)، (الحق/الباطل)، (الأزلي/الزمني)، والرغبة في الحنين إلى بناء وحدة شمولية؛ مما يعني سيادة النسبية بشكل مطلق. أي ليس هناك قوانين مطلقة ولا قوانين عامة.

(٦) إن دعوى "ميشيل فوكو"، بضرورة الفصل بين الأخلاق والدين دعوة باطلة تؤدي إلى هدم الأخلاق، واقتلاعها من جذورها.

(٧) إن مفهوم الحرية عند "ميشيل فوكو"، هو مفهوم إباحي ليس له علاقة بالمعنى الحقيقي لقيمة الحرية دينياً وواقعياً.

(٨) إن المتأمل لفلسفة "ميشيل فوكو" الأخلاقية، يجده لم يتردد في ربط الأخلاق بمفهوم الحرية الجنسية، وعدم التقيد بأي مبدأ قيمي فليست الأخلاق عنده، إلا ممارسة واعية للحرية الجنسية، فالحرية بهذه الصورة عند "فوكو"، بمنزلة الشرط الوجودي للأخلاق، ولكن الأخلاق هي الشكل الواعي الذي تتخذه الحرية.

(٩) إن "ميشيل فوكو"، يطالب بالحق في الحرية الجنسية كجزء من الحقوق المدنية، وأن يكون على رأس هذه الحقوق، الحق في اختيار الفرد لجنسه، وبالنظر إلى ما يلقاه هذا الحق من مقاومة ورفض، فإن "ميشيل فوكو"، يرى ضرورة النظر إلى هذا الموضوع على أنه عملية تحرر لاتزال تشق طريقها في مختلف المجتمعات وبدرجات مختلفة، وأن ما تحتاج إليه الحركات الجنسية المثلية والنسوية هو إبداع أشكال جديدة من الحياة والعلاقات والصدقات في المجتمع وفي الفن وفي الثقافة، وأنه لا يكفي أن تؤكد هذه الحركات على هويتها، بل تؤكد قوتها الإبداعية ولقد قمت بمناقشة هذه الأفكار المنحرفة والرد عليها في ثنايا البحث.

(١٠) إن "ميشيل فوكو"، يؤكد في فلسفته على التحرر من القيم الأخلاقية، وفصلها

عن الدين مما يجعلها تفقد معناها وتصبح أخلاقاً عدمية لا وجود لها في الواقع لأن الدين هو الذي يجعل الأخلاق تسير في الطريق الصحيح، كما أن قوله بفصل الأخلاق عن الدين موافقاً لمنهجه الأركيولوجي الجنيولوجي العدمي، وهذا كله يعد من قبيل الأفكار المنحرفة التي قمت بالرد عليها ومناقشتها باستفاضة.

(١١) إن "ميشيل فوكو" لا يهتم بالقيم الأخلاقية، التي تعطي للمجتمع رفعة ومكانة تتفق مع دينه وإنسانيته، بل كل ما يهمه، هو دعوته إلى تحرر الذات من القيود عليها، خاصة في فعل الرذائل الجنسية وقد بينت في خلال البحث خطأ ما ذهب إليه في هذه القضية التي تعد من قبيل القضايا المنحرفة عنده.

ثانياً: أهم التوصيات.

١- ضرورة الاهتمام بعرض الأفكار المستحدثة التي تظهر في أوروبا، ومحاولة تناولها تناولاً نقدياً، وبخاصة آراء أصحاب هذه التيارات، التي تتناول قضايا الدين تناولاً سلبياً يمكن أن يؤثر على الشباب.

٢- ضرورة مقارنة أفكار أصحاب تيار ما بعد الحداثة مع الفكر الإسلامي، وبيان مدى تهافتها وبخاصة من كان منهم على شاكلة "ميشيل فوكو"، الذي يعرض أفكاراً هدامة عدمية، فيأتي بها في إطار قد يؤثر في السطحيين من الشباب، فكان لابد من نقد هذه الأفكار وبيان مدى خطورتها على الأفراد والمجتمعات.

٣- يجب على الباحثين المتخصصين في مجال العقيدة والفلسفة أن يختاروا موضوعات للدراسة الأكاديمية في رسائل الماجستير والدكتوراه، بحيث تتناول هذه الرسائل القضايا الفلسفية التي يثيرها هؤلاء المنحرفون، بحيث يقوم الباحثون بعرض هذه الأفكار ثم مناقشتها مناقشة علمية دقيقة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وصلي الله وسلم وبارك على

سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم



ثبت بأهم مصادر ومراجع البحث

القرآن الكريم.

أولاً: أهم المصادر والمراجع للبحث باللغة العربية.

- (١) أ. روني إيلي ألفا: موسوعة أعلام الفلسفة العرب والأجانب، قدم له ، الرئيس شارل حلو، راجعه، د. جورج نخل، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م.
- (٢) أبو الحسين بن الحجاج مسلم: صحيح مسلم، تحقيق، نظر محمد الفاريابي، دار طيبة للنشر، الرياض، ط١، ٢٠٠٦م.
- (٣) أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير: تفسير القرآن العظيم، تحقيق، سامي بن محمد سلامة، نشر دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.
- (٤) أبو حامد محمد الغزالي: إحياء علوم الدين، نشر دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م.
- (٥) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن شمس الدين القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، تحقيق، هشام سمير البخاري، نشر دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣م.
- (٦) أبو عبد الله محمد بن نصر بن الحجاج المروزي: تعظيم قدر الصلاة، تحقيق، د. عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، نشر مكتبة الدار، المدينة المنورة، ط١، ١٤٠٦هـ.
- (٧) أبي الفضل محمد بن مكرم ابن منظور: لسان العرب، نشر دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.
- (٨) أحمد عبد الحليم عطية: القيم في الواقعية الجديدة، نشر دار الثقافة العربية، القاهرة، ٢٠٠٨م.
- (٩) إدريس هواري: جينالوجيا الحقيقة عند ميشيل فوكو، مجلة فكر ونقد، بيروت، العدد ١٣، د.ت.



- (١٠) أشواق خنوس: الجسد بين العقاب والتعذيب قراءة فلسفة ميشيل فوكو، نشر مجلة الدراسات الإنسانية، بيروت، المجلد العاشر، العدد الثاني، ٢٠٢١م.
- (١١) أفلاطون: محاوره جورجياس لأفلاطون، ترجمها عن الفرنسية، محمد حسن ظاظا، راجعها، د. علي سامي النشار، نشر الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، ١٩٧٠م.
- (١٢) الأنبا ياكوبوس: التدبير الداخلي في الحياة الروحية، سلسلة البناء الروحي للفرد المسيحي، نشر كاتدرائية السيدة العذراء وماريوحنا الرسول بالزقازيق، مصر، ط١، يناير ٢٠٠٢م.
- (١٣) أوبيرد رافوس، بول رابينوف: ميشيل فوكو، مسيرة فلسفية، ترجمة، جورج أبي صالح، مراجعة، مطاع صفدي، نشر مركز الإنماء القومي، رأس بيروت، لبنان، د.ت.
- (١٤) أوليفر ليمان: مستقبل الفلسفة في القرن الواحد والعشرين، آفاق جديدة للفكر الإنساني، ترجمة، مصطفى محمود محمد، مراجعة، د. رمضان بسطاويسي، نشر سلسلة عالم المعرفة، بيروت، عدد ٣٠١، ٢٠٠٤م.
- (١٥) أومعوش مقدوة: الجسد وجدلية الجمال والقبح- ميشل فوكو أنموذجاً، نشر مجلة جانفي، الجزائر، ٢٠١٧م.
- (١٦) إيهاب حسن: تحولات الخطاب النقدي لما بعد الحداثة، إعداد وترجمة، السيد إمام، نشر دار الرافدين، بيروت، ط١، ٢٠١٨م.
- (١٧) البابا فرنسيس: الإرشاد الرسولي ما بعد السينودس الأمازون الحبيب من الأب الأقدس فرنسيس إلى شعب الله وإلى جميع الأشخاص ذوي الإرادة الطيبة، نشر أوسيرفاتوري رومانو، الطبعة الإيطالية، منشورات موقع الفاتيكان، ٢١ يناير، كانون الثاني، ٢٠١٨م.
- (١٨) البابا فرنسيس: رسالة بابوية عامة في الأخوة والصداقة الاجتماعية، منشورات موقع الفاتيكان، إيطاليا، ٢٠١٩م.
- (١٩) البابا فرنسيس: من قداسة البابا فرنسيس إلى الشبيبة وإلى كل شعب الله،



التحديات المعاصرة للدراسات الإسلامية والعربية ... رؤى وآفاق

- لوريتو، قرب البيت المقدس، منشورات موقع الفاتيكان، إيطاليا، ٢٥ مارس/آذار ٢٠١٩م.
- (٢٠) بيرتراند رسل: تاريخ الفلسفة الغربية، الكتاب الثالث "الفلسفة الحديثة" ترجمة، د. محمد فتحي الشنيطي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٧م.
- (٢١) جان بياجيه: البنيوية، ترجمة، عارف منيمنة، بشير أو بري، منشورات عويدات، باريس، بيروت، ط٤، ١٩٨٥م.
- (٢٢) جان فرانسوا ليوتار: الوضع ما بعد الحداثي تقرير عن المعرفة، ترجمة، أحمد حسان، نشر دار شرقيات، القاهرة، ط١، ١٩٩٤م.
- (٢٣) جوتفريد ليبنتز: أبحاث جديدة في الفهم الإنساني، تقديم وترجمة وتعليق، د. أحمد فؤاد كامل، نشر دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٣م.
- (٢٤) جوديث بتلر: الذات تصف نفسها، ترجمة، فلاح رحيم، نشر دار التنوير، بيروت، ٢٠١٤م.
- (٢٥) جورج منزريدي: الأخلاق المسيحية، نقله إلى العربية الأب ميشيل نجم، نشر مكتبة الكتب المسيحية، بيروت، د.ت.
- (٢٦) جون سكوت: خمسون عالماً اجتماعياً أساسياً: المنظرون المعاصرون، ترجمة محمود محمد حلمي، مراجعة، جبور سمعان، نشر الشبكة العربية، بيروت، ط١، ٢٠٠٩م.
- (٢٧) جونثان ري، وآخرون: الموسوعة الفلسفية المختصرة، ترجمة، فؤاد كامل، وآخرون، نشر المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط١، ٢٠١٣م.
- (٢٨) جيجيكه إبراهيمي: حضريات الإكراه في فلسفة ميشيل فوكو، منشورات الاختلاف، بيروت، ٢٠١١م.
- (٢٩) جيمس أنس: علم اللاهوت النظامي، تحقيق، منيس عبد النور، نشر الكنيسة الإنجيلية، القاهرة، د.ت.
- (٣٠) جيمس ماكفارلن ومالك برادبري: الحداثة، ترجمة مؤيد حسن فوزي، نشر



دار المأمون، بغداد، ١٩٨٧م.

(٣١) حسين موسى: ميشيل فوكو الفرد والمجتمع، نشر دار التنوير، بيروت، ٢٠٠٩م.

(٣٢) د. أحمد عبد الحليم: ما بعد الحداثة والتفكيك، نشر دار الثقافة العربية - القاهرة، ط١، ٢٠٠٨م.

(٣٣) د. أحمد محمد أحمد الطيب: - البابا فرنسيس بابا الفاتيكان: وثيقة الأخوة الإنسانية من أجل السلام العالمي والعيش المشترك، منشورات موقع الفاتيكان، ٢-٢٠١٩م.

(٣٤) د. أحمد محمد أحمد الطيب: السلام أولاً، طبع دار القدس العربي، القاهرة، ط١، ١٤٤٠هـ، ٢٠١٩م.

(٣٥) د. أحمد محمد أحمد الطيب: مقومات الإسلام، طبع الحكماء للنشر، القاهرة، ط١، ١٤٤٠هـ، ٢٠١٩م.

(٣٦) د. الزواوي بغوره: مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو، نشر المجلس الأعلى للثقافة، الجزائر، ط١، ٢٠٠٠م.

(٣٧) د. الزواوي بغوره: مدخل إلى فلسفة ميشيل فوكو، نشر دار الطليعة ، بيروت، ط١، ٢٠١٣م.

(٣٨) د. الزواوي بغوره: مكانة الأنطولوجيا التاريخية من الفلسفة الكانطية، نشر المجلة العربية للعلوم الإنسانية، بيروت، ٢٠٠٦م.

(٣٩) د. الزواوي بغوره: ما بعد الحداثة والتنوير موقف الأنطولوجيا التاريخية دراسة نقدية، نشر دار الطليعة، بيروت، ٢٠٠٩م.

(٤٠) د. جابر عوض أحمد سيد: البيئة والتنمية والخدمة الاجتماعية، نشر دار المعرفة الجامعية، إسكندرية، مصر، ١٩٩٥م.

(٤١) د. جابر قميحة: مدخل إلى القيم الإسلامية، نشر دار الكتاب المصري، القاهرة، ط١، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م.



- (٤٢) د. جميل صليبا: المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة، بيروت، لبنان، ١٩٨٢م.
- (٤٣) د. سعيد عبداللطيف فودة: مقالات نقدية في الحداثة والعلمانية، نشر دار الذخائر، بيروت، ط٢، ٢٠١٥م.
- (٤٤) د. عبد العزيز حمودة: المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك، نشر عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩٨م.
- (٤٥) د. عبد الوهاب المسيري: العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة، نشر دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٢م.
- (٤٦) د. عبد الوهاب المسيري: العلمانية والحداثة والعولمة، تحرير، سوزان حرفي، نشر دار الفكر، القاهرة، ط١، ١٤٣٤هـ، ٢٠١٣م.
- (٤٧) د. عبد الوهاب المسيري، د. فتحي التريكي: الحداثة وما بعد الحداثة، نشر دار الفكر، دمشق، سوريا، ٢٠٠٣م.
- (٤٨) د. فايز فارس: علم الأخلاق المسيحية، نشر دار الثقافة، القاهرة، د.ت.
- (٤٩) د. مانع بن محمد بن علي المانع: القيم الأخلاقية بين الإسلام والغرب، دار الفضيلة، الرياض السعودية، ط١، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م.
- (٥٠) د. موسى شاهين لاشين فتح المنعم شرح صحيح مسلم، دار الشروق، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م.
- (٥١) د. نايف سلوم: ما بعد الحداثة مقالات في النقد الفلسفي، نشر دار التوحيد، سوريا، ٢٠١٧م.
- (٥٢) د. نورة بوحناش: الأخلاق والحداثة، نشر إفريقيا الشرق، المغرب، ٢٠١٣م.
- (٥٣) رولان بارت: كتاب لذة النص، ترجمة منذر عياشي، نشر دار لوسوي، باريس، ط١، ١٩٩٢م.
- (٥٤) رونيه ديكارت: تأملات ميتافيزيقية في الفلسفة الأولى، ترجمة، كمال الحاج، منشورات عويدات، بيروت، ط٤، ١٩٨٨م.



- (٥٥) زكريا إبراهيم: مشكلات فلسفية، مشكلة البنية، نشر دار مصر للطباعة ، القاهرة، د.ت.
- (٥٦) زيغمونت باومان: الأخلاق في عصر الحداثة السائلة ، ترجمة ، سعد البازغي ، بثينة إبراهيم، نشر دار الأفاق العربية، بيروت، ٢٠٠٨م.
- (٥٧) ستورات سيم - بورين فان لئون: النظرية النقدية، ترجمة وتحقيق، جمال الجزيري، نشر المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٥م.
- (٥٨) السيد ولد أباه: التاريخ والحقيقة لدى ميشيل فوكو، نشر دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٩٩٤م.
- (٥٩) طه عبدالرحمن: روح الحداثة - المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية، نشر المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء، المغرب، ط١، د.ت.
- (٦٠) عبد الرحمن بدوي: الموسوعة الفلسفية، نشر دار المدى، بيروت، ٢٠١٩م.
- (٦١) عبد العزيز العايدي: ميشيل فوكو المعرفة والسلطة، نشر المؤسسات الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٤م.
- (٦٢) عبد الغني بارة: إشكاليات تأصيل الحداثة في الخطاب النقدي العربي المعاصر-مقاربات حوارية في الأصول المعرفية، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، د.ت.
- (٦٣) عبد الوهاب جعفر: البنيوية بين العلم والفلسفة عند ميشال فوكو ، نشر دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، د.ت.
- (٦٤) عبد الوهاب جوده الحايس: الدور الانضباطي للحكومة والمرأة المصرية في زمن الكورونا، رؤية تحليلية في ضوء المنظور البانوبتيكي لدى ميشال فوكو، نشر مجلة علوم الإنسان والمجتمع، القاهرة، المجلد العاشر، العدد الأول، ٢٠٢١م.
- (٦٥) عمرو بن بحر الجاحظ: تهذيب الأخلاق، تعليق، إبراهيم محمد، نشر دار الصحابة للتراث، طنطا، مصر، ١٩٨٩م.
- (٦٦) الفيروز آبادي: القاموس المحيط، تحقيق، مكتب تحقيق التراث، مؤسسة



- الرسالة، بيروت، لبنان، ط٨، د.ت.
- (٦٧) الكتاب المقدس ترجمة العالم الجديد: مترجم عن الطبعة الإنكليزية المنقحة، نشر اليابان، ١٩٨٤م.
- (٦٨) كريستوفر باتلر: ما بعد الحداثة مقدمات قصيرة جداً، نشر مؤسسة هنداوي، بيروت، ٢٠١٧م.
- (٦٩) مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق، محمد علي النجار، دار إحياء التراث العربي، القاهرة مصر، ط٣، ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م.
- (٧٠) محمد الشيخ، ياسر الطائري: مقاربات في الحداثة وما بعد الحداثة، حوارات منتقاه من الفكر الألماني المعاصر، نشر دار الطليعة، بيروت، ٢٠١٤م.
- (٧١) محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي : مختار الصحاح، نشر المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط٥، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.
- (٧٢) محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، مرتضى الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، نشر دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ.
- (٧٣) محمد سبيلا، عبد السلام بنعبد العالي: ما بعد الحداثة تجلياتها وانتقاداتها، نشر دار توبقال، المغرب، ٢٠١١م.
- (٧٤) محمد عي الكردي: نظرية المعرفة والسلطة عند ميشال فوكو، نشر دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، د.ت.
- (٧٥) محمد مصطفى هدارة: الحداثة والتراث، نشر مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، السعودية، محاضرة ألقى عام ١٤٠٦هـ، ومطبوعة، برقم ٣٩٨٦١، ٣٩٨٦٢.
- (٧٦) معجم الفلاسفة الأمريكيان من البراجماتيين إلى ما بعد الحداثيين: مجموعة من الباحثين والأكاديميين العرب، إشراف وتحرير، د. علي عبود المحمداوي، تقديم، د. محمد الشيخ، نشر ضفاف، والاختلاف السلسلة، بيروت، ٢٠١٥م.



- (٧٧) موسوعة لالاند الفلسفية: تعريب، خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، باريس، ٢٠٠١م.
- (٧٨) ميشيل فوكو: نظام الخطاب، ترجمة، محمد سبيلا، نشر دار التنوير للطباعة، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٤م.
- (٧٩) ميشيل فوكو: أخلاقيات هاجس الذات كممارسة للحرية، في أقوال وكتابات، ترجمة، د. الزواوي بغوره، نشر غاليمار، باريس، ١٩٩٤م.
- (٨٠) ميشيل فوكو: استخدام المتع، ترجمة، د. الزواوي بغوره، نشر غاليمار، باريس، ١٩٨٤م.
- (٨١) ميشيل فوكو: أقوال وكتابات، ترجمة، د. الزواوي بغوره، نشر غاليمار، باريس، ١٩٩٤م.
- (٨٢) ميشيل فوكو: الاهتمام بالذات جمالية الوجود وجراً قول الحقيقة، تقديم وترجمة، محمد أزويته، نشر أفريقيا الشرق، المغرب، ٢٠١٥م.
- (٨٣) ميشيل فوكو: البنيوية وما بعد البنيوية، ترجمة، د. الزواوي بغوره، نشر غاليمار، باريس، ١٩٩٤م.
- (٨٤) ميشيل فوكو: المراقبة والمعاقبة ولادة السجن، ترجمة، د. علي مقلد، مراجعة وتقديم، مطاع صفدي، نشر مركز الإنماء القومي، بيروت، ١٩٩٠م.
- (٨٥) ميشيل فوكو: تاريخ الجنسانية، إرادة العرفان، ترجمة، محمد هشام، أفريقيا الشرق، المغرب، ٢٠٠٤م.
- (٨٦) ميشيل فوكو: تأويل الذات، ترجمة، د. الزواوي بغوره، نشر دار الطليعة، بيروت، لبنان، ٢٠١١م.
- (٨٧) ميشيل فوكو: جمالية الوجود، ترجمة، د. الزواوي بغوره، نشر غاليمار، باريس، ١٩٩٤م.
- (٨٨) ميشيل فوكو: حضريات المعرفة، ترجمة، سالم يقوت، نشر المركز الثقافي العربي، لبنان، المغرب، ط٢، ١٩٨٧م.



- (٨٩) ميشيل فوكو: حول أنساب الجماليات، لمحة عن العمل الجاري، في أقوال وكتابات، ترجمة، د. الزواوي بغوره، نشر غاليمار، باريس، ١٩٩٤م.
- (٩٠) ميشيل فوكو: علم آثار المعرفة، ترجمة، د. الزواوي بغوره، نشر غاليمار، باريس، ١٩٦٩م.
- (٩١) ميشيل فوكو: هاجس الحقيقة في أقوال وكتابات، ترجمة، د. الزواوي بغوره، نشر غاليمار، باريس، ج٤، ١٩٩٤م.
- (٩٢) ميشيل فوكو: يجب الدفاع عن المجتمع، دروس ألقيت في الكوليج دي فرانس، ترجمة الزواوي بغوره، نشر دار الطليعة، بيروت، ٢٠٠٣م.
- (٩٣) وليم وهبه بباوي، منيس عبد النور، و فايز فارس، أندريه ذكي، أنور ذكي: دائرة المعارف الكتابية، نشر دار الثقافة، القاهرة، ط٢، د.ت.

ثانيًا: أهم المصادر والمراجع للبحث باللغة الأجنبية.

- (94) Aubin Deckeyser: Ethique, du sujet, problematize, a partir de Foucault, trajectorie au Coeur du present, paris, paris, L, Harmattanm 2006.
- (95) Denise Huisman: Dictionnaire des philosophes. Paris PUR. tome 1, 1981.
- (96) Frederic Gros: Sujet morale et soi éthique chez Foucault. în. Ardives de philosophie. V.65. N2. 2002.
- (97) Michel Foucault: Le retour de la morale. In. Dits et écrits, tome 4. Paris Gallimard, 1994.
- (98) Michel Foucault: Le philosophi structuraliste permet de diagnostiquer ce qu: est aujourd'hui in Dits et écrits, tome 4, Paris. Gallimard, 1994.
- (99) Michel Foucault: Le souci de la verite. In. Dits et cants, tome 4 paris, Gallimard 1994.



- (100) Michel Foucault: Le style de shistoire. In. Dits et écrits tome & Paris. Gallimard, 1994.
- (101) Michel Foucault: Lordre du discours, Paris. Gallimard 1971.
- (102) Michel Foucault: Sexe. Pouvoir et la politique de lidentite. In Dits et ecritsm tome 4, . Paris. Gallimard, 1994.
- (103) Peter Brown: La Genèse de antiquité turdive. Paris. Gallimard, 1983.
- (104) Raymond Bellour:le livre des autres: entretiens, union generale dm editions, Paris, 1978.



فهرس الموضوعات

ملخص البحث:	٦٤٧
مقدمة:	٦٥٠
المبحث الأول: مقدمات تمهيدية:	٦٥٦
أولاً: القيم الأخلاقية في المدلول اللغوي والاصطلاحي:	٦٥٦
ثانياً: الحداثة بين المدلول اللغوي والاصطلاحي:	٦٦١
ثالثاً: التعريف "بميشيل فوكو - Michel Foucault"	٦٧٢
المبحث الثاني: القيم الأخلاقية في فلسفة "ميشيل فوكو"	٦٨٤
أولاً: القيم الأخلاقية والذات في فلسفة "ميشيل فوكو"	٦٨٤
ثانياً: التفرقة بين القواعد الأخلاقية والأفعال الأخلاقية عند "ميشيل فوكو"	٦٩٠
ثالثاً: قيمة الحرية وجدلية السلطة في فلسفة "ميشيل فوكو"	٦٩٣
رابعاً: التحكم في الذات وعلاقته بالأفعال الجنسية في فلسفة ميشيل فوكو	٦٩٦
تعقيب:	٧٠٨
المبحث الثالث: فلسفة "ميشيل فوكو" الأخلاقية في ميزان الأديان:	٧١٢
أولاً: موقف المسيحية من القيم الأخلاقية عند "ميشيل فوكو"	٧١٢
ثانياً: موقف الإسلام من القيم الأخلاقية عند "ميشيل فوكو"	٧١٦
خاتمة البحث:	٧٢٣
ثبت بأهم مصادر ومراجع البحث:	٧٢٦
فهرس الموضوعات:	٧٣٦
